الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Université Abou Bekr Belkaid

جامعة أبي بكر بلقايد

تلمسان الجزائر

كلية الآداب واللغات

قسم الفنون

مذكرة لنيل شهادة الماستر بعنوان

الخصائص الفنية لمسجد سيدي أبي مدين

إعداد الطالب: الأستاذ المشرف:

-ديداني جمال -هلالي إبراهيم

لجنة المناقشة

أ- ساسي عبد الحفيظ رئيسا

أ- لصهب عبد القادر مناقشا

السنة الجامعية:2014-2015

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي هذه إلى من ربياني على حب العلم و الفضيلة و أسمى القيم إلى من أضاء لي درب العلم شموعا أبي. إلى من يصعب حصر جميلها، والجنة تحت أقدامها أمي.

إلى أعز الناس إخوتي و أخواتي إلى زملائي في قسم الفنون

إلى أصدقاء في الإقامة الجامعية البشير الإبراهيمي

شكر و عرفان

أتقدم بجزيل الشكر إلى :

* الله سبحانه و تعالى الذي أعطاني الصحة و القوة و الصبر لإتمام هذا البحث

* الأستاذ هلالي ابراهيم على تفضله بقبول الإشراف على هذا البحث و على كل مساعداته و توجيهاته السديدة التي قدمها لي طيلة فترة إعدادي لهذا البحث السادة أعضاء اللجنة على قبولهم مناقشة البحث . كما أتوجه بجزيل الشكر و العرفان الى أساتذتي بقسم الفنون دون أن أنسى من أمد لي يد المساعدة في إنجاح هذا البحث من قريب أو بعيد

مقدمة

لقد شكلت تلمسان منذ الأزل المحور الأساسي الذي كانت تقوم حوله الدول الإسلامية المتتالية التي نشأت عبر مراحل مختلفة في منطقة المغرب الإسلامي و في المغرب الأوسط (الجزائر) على وجه الخصوص و كان لابد لهذه المدينة العظيمة من أن تتأثر بالفنون المختلفة التي كانت وليدة الحضارة الناشئة و تؤثر فيها فتلمسان لم تكن مدينة علم و معرفة فحسب بل كانت و لا تزال أيضا مدينة فنون بكل ما تحمل هذه الفنون من أنواع و أصناف و من بينها طبعا فن المعمار الإسلامي الذي يشكل إحدى مقومات الفن التلمساني الأصيل و يعود ذالك لأسباب كثيرة منها موقع تلمسان الجيوستراتيجي و التاريخي الذي جعلها في قلب المغرب العربي، ذالك الموقع الممتاز الذي منح مدينة تلمسان ميزة خاصة بين مدن المنطقة فجعل منها مهدا لقيام دول متعاقبة منذ العهود الأولى للخلافة الإسلامية إلى غاية العهد العثماني و كان لتلمسان دائما الدور الأساسي في نشأة تلك الدول سواء بطريقة مباشرة كأن تكون عاصمة لها، أو غير مباشرة لكونها حظيرة لا يمكن الإستغناء عنها ناهيك عن إتصالها بكبريات المدن الأندلسية و أشهرها طوال العهود التي إزدهرت فيها الحضارة العربية الإسلامية في تلك البلاد الجميلة، ولم يقتصر إمتداد تلمسان على الأندلس بل إنها كانت على صلة مع مدن عظيمة في المنطقة عبر كل المراحل التي عرفها نشوء الدول المختلفة مما يفسر تأصل فنون عريقة بالمدينة إبتداءا من الأدارسة، فالموحدين فالمرابطين، فبني عبد الوادي و الزيانين إلى العثمانيين و كان لابد لهذا الزخم السياسي والإجتماعي والثقافي و خاصة الفني الذي صاحب تلك الدول في ظل الحضارة العربية الإسلامية أن يترك بصماته على هذه المدينة العظيمة التي كانت نقطة تقاطع لكل تفاعل فني خلاق

ناهيك عن إستقبالها لآلاف المهجرين بعد مأساة سقوط الأندلس في نهاية القرن 15م و كان من بين النازحين إلى تلمسان من مهندسين و خبراء في فن المعمار وما يقتضيه هذا الفن من زخارف و منمنمات صارت فيما بعد من أهم الخصوصيات الفنية التي تميزت بها مدينة تلمسان بعد أن برز فيها أصل هذا الفن، و تطورت تقنياته على مر العصور

أما موضوعنا فيصب من خلال تسليط الضوء على جوانب هذا الفن الأصيل و الذي امتازت به مساجد تلمسان منذ القدم كالمسجد الكبير و مسجد سيدي أبي مدين فهذا الأخير تميز عن غيره من المساجد ما جعله محل إعجاب من طرف الباحثين و الدارسين المولعين بهذا الفن.

فمن بين الأسباب التي دفعتني لإختيار مسجد سيدي أبي مدين أسباب عديدة منها ذاتية وموضوعية فالذاتية هي :

إهتمامي بتقنية بناء المساجد خاصة بعد الإطلالة التي قادتني إليه، متأملا الضخامة و البروز و دقة الإنجاز التي يمكن القول أنها لا تتوفر في بنايات اليوم و ذالك يظهر جليا من خلال التصدعات و الانكسارات التي تصيب البنايات رغم حداثتها .

و فرتها على تقنيات جديدة إلا أنها لا تضاهي المساجد القديمة بدليل أنها عمرت عدة قرون و لا زالت تحافظ على شكلها رغم مرور قرون على ذالك .

ومن بين الأسباب الموضوعية فتمثلت في إهتمام بعض الباحثين على مساجد دون غيرها كالمسجد الكبير أو دراسة المسجد من نواحي و إهمال نواحي أخرى كالنقص الذي تعانيه هاته

المساجد من ترميم لذا ارتأيت أنه من الضروري تحديد مجال البحث على الخصائص الفنية لمسجد سيدي أبي مدين الواقع بمدينة تلمسان .

و للوصول إلى نتائج علمية دقيقة، فرضت علي الدراسة إتباع بعض المناهج البحثية و عليه فقد إعتمدت على المنهج التاريخي لتتبع المراحل التاريخية كما كان من الضروري استخدام المنهج الوصفي في ذكر الخصائص المعمارية الزخرفية للمسجد من خلال الرسومات و المخططات . وهذا ما جعلنا نتساءل عن أهم الخصائص الفنية التي نجدها في مسجد سيدي أبي مدين و التي يتميز بها عن غيره من مساجد تلمسان ؟

كما إعتمدت في دراستي على مجموعة من المصادر التوثيقية (المصادر، المراجع، الرسائل الجامعية إضافة إلى المنشورات و المجلات ......).أهمها كتاب بعنوان المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان و جمالية الفن الإسلامي في المنشآت المرينية بتلمسان.

و أخيرا إختتمت بحثي بخاتمة جاء فيها أهم النتائج التي توصلت إليها كما قمت بإرفاق دراسي بمجموعة من الأشكال للتوضيح.

و بالتالي فالدراسة لم تكن هينة و سهلة إذ واجهتني مجموعة من الصعوبات أهمها صعوبة الحصول على الترخيص ضف إلى ذالك ضيق الوقت و صعوبة التنقل.

الفصل الأول

نبذة عامة عن أهم المراحل التاريخية لتلمسان

نبـــــــذة عامــــــــة عن أهم المراحل التاريخية لتلمســــــــــان:

تلمسان بالبربرية منبع الماء فهي تشبيه بليغ للماء،للإنسان والطبيعة وتلمسين كلمة مركبة من تلم ومعناها تجمع وسن ومعناها إثنان الصحراء والتل ويقال تلشان وهو أيضا مركب من تل ومعناها لها وشان أي لها شأن.

وقد تمركز الإنسان بمدينة تلمسان وما جاورها منذ عصور ما قبل التاريخ بعد فترة نوميديا، وبالأخص فترة حكم الملك البربري "سيفاكس" التي كانت عاصمتها "سيقا". وقد إحتل الرومان تلمسان، وأطلقوا عليها تسمية "بوما ريا" والتي تعني السهول وذلك من سنة 32 م إلى 430 م ولم تكن "بوما ريا" معسكرا فحسب فقد إعتنوا بتعميرها وتزينها وإقامة سور لحمايتها، كما أنشأ الرومان طرقا من وإلى مدينة "بوماريا"، وأخرى تربطها بالبحر. ولما إستتب الأمر للبربر بعد نفوذ الأجانب من روما، والوندال والروم كما أطلقوا عليها بلغتهم إسم "اغادير" ما يعادل العبارتين العربيتين"جدار قديم ومدينة محصنة"، فالمعنى الأول يدل على أن " أغادير" مدينة عريقة في القدم دفعت بعضهم إلى أن يزعمو أن الجدار الذي ذكر في القرآن في قصة" الخضر وموسى عليهما السلام" إلا أن هذه المزاعم غير مؤسسة وغير ثابتة والمعنى الثاني أن " أغادير " كانت مدينة، ولكنها تغاير المدن المبثوثة حينئذ في ذلك الإقليم، وتعتبر "أغا دير " أول تجمع عمراني للمدينة القديمة. إختطها الزناتيون، والتي كانت تعرف بإسم " أغادير " وقد عرفت نشاطا تجاريا مميزا. نظرا لموقها الجغرافي، والسياسي المميز الذي أعانها على ربط المغرب الأوسط بالمغرب الأقصى، بالأندلس وبلاد السودان. وذلك النشاط التجاري إنعكس

على إزدهارها العمراني، فقد أنشأت الأسواق الكبيرة، والمساجد العريقة، والمعامل الكثيرة، هذا إضافة إلى دور الملوك، والأغنياء.[1]

ولقد سكن العرب بلاد المغرب سنة761 م، ولكن الفتوحات الإسلامية لم تبلغ مدينة تلمسان إلا في سنة675م، وفي سنة790م في حكم الأدارسة. وقد نزل المرابطون بالجانب الغربي من " أغادير " سنة1079م، مع يوسف بن تاشفين مؤسس دولتهم، وإبنه علي بن يوسف ليأتي الموحدون سنة1144م، وهي فترة عرفت فيها تلمسان تطورا إقتصاديا مرموقا. وقد تألقت تلمسان في مرحلة تمتد من القرن 13م إلى القرن16م، في فترة حكم الزيانيين، عاصمة للدولة الزيانية لمؤسسها "يغمراسن"، وفي هذه المرحلة عرف فن العمارة تألقا ملموسا فقد شيدت المساجد ونذكر منها: مسجد سيدي أبي مدين، ومسجد سيدي الحلوي وغيرها من المساجد الشامخة في تلمسان.[2]

ثم جاءت مرحلة حكم الأتراك التي تمتد من القرن 16م إلى القرن19م، لتليها فترة حكم الأمير عبد القادر، ونشير إلى أن الإستعمار الفرنسي لم يصل إلى تلمسان إلا سنة 1842م وضل فيها إلى غاية إستقلال الجزائر1962م.

ومنذ سنة 1962م، عرفت تلمسان توسعا مذهلا، ما أهلها لبروزها والتربع على موقع إقتصادي وثقافي متميز فلم تسلم أي مدينة إسلامية جزائرية من المداد ما أسالته مدينة تلمسان فقد حظي تاريخها و نقوشها و أثارها باهتمام كبيرين وعلى رأسها نجد مؤلفات القس با رجس

---

[1]– محمد عمر الطمار، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب1984م، ص11

[2] – نفس المرجع ص9.

الذي كتبها بعد رحلته إلى تلمسان غداة إقتحام الجيش الفرنسي لها، سبتمبر.أكتوبر 1846م وقد شغف هذا العالم المستعرب حبا بتلمسان عاصمة الزيانين العتيقة فخصص لدراستها القسط الأفر من أعماله و جمع جل ملاحظاته التي دونها أثناء رحلته في كتابه المسمى تلمسان العاصمة القديمة لمملكة ذات الإسم [1] و قد عمد بارجس سنة 1852م إلى نشر كتابه المعنون ب :تاريخ بني زيان و أعقبه سنة 1887م بكتاب تكملة بني زيان وعكف في غضون ذالك على تأليف كتابين أولهما خصصه لدراسة تاريخ الولي التلمساني الكبير سيدي بومدين وثانيهما خصصه لدراسة العلاقات التجارية بين تلمسان و السودان وذالك خلال القرون الوسطى [2] وفي خضم وصف تلمسان بأوصاف إستوحاها زائرون و سياح عرجوا عليها فترة من الدهر، وهي أوصاف أقل علمية وشبه أدبية و قد خصص جزءا كبيرا للصروح التلمسانية ضمن دراسة شاملة من خلال القيمة الأساسية التي تكتسبها العمارة التلمسانية و صروحها تكمن من خلال ما نشر سابقا و لقد شكلت تلمسان منذ الأزل المحور الأساسي الذي كانت تقوم حوله الدول الاسلامية المتتالية، و التي نشأت عبر مراحل مختلفة في منطقة المغرب الاسلامي وفي المغرب الأوسط الذي نقصد به الجزائر على وجه الخصوص وكان لابد لهذه المدينة العظيمة من أن تتأثر بالفنون المختلفة التي كانت وليدة الحضارة الناشئة وتؤثر فيها، فتلمسان لم تكن مدينة علم و معرفة فحسب بل كانت و لاتزال أيضا مدينة فنون

---

[1] – جورج مارسي. المعالم الأثرية لمدينة تلمسان ترجمة مراد بالعيد من سلسلة المنشورات التاريخية 3الصادرة سنة 2011 ص 15

[2] – يحي بوعزيز المساجد العتيقة في الغرب الجزائري .من سلسلة المنشورات الصادرة سنة 2011ص25

بكل ما تحمل هذه الفنون من أنواع وأصناف و من بينها طبعا الفن المعماري الإسلامي الذي يشكل إحدى مقومات الفن التلمساني الأصيل ويعود ذالك لأسباب كثيرة منها موقع تلمسان الجيو ستراتيجي و التاريخي الذي جعلها في قلب المغرب العربي هو ذالك الموقع الممتاز الذي منح المدينة ميزة خاصة بين مدن المنطقة فجعل منها مهدا لقيام دول متعاقبة منذ العهود الأولى للخلافة الإسلامية إلى غاية العهد العثماني وكان لتلمسان دائما الدور الأساسي في نشأة تلك الدول سواء بطريقة مباشرة كأن تكون عاصمة لها أو غير مباشرة.[1]

المبحث الاول :تلمسان جغرافيا و تاريخيا

تقع مدينة تلمسان على إرتفاع 850 متر و تتربع على مساحة 9071.69كلم2، وهي تتموقع على 550 كلم من الجزائر العاصمة، و 650 كلم من بشار، و140 كلم إلى الجنوب الغربي لمدينة وهران و 63كلم شرق الحدود المغربية .

فهي محدودة من الشمال بولاية عين تموشنت، و من الجنوب بولاية النعامة، من الشرق بولاية سيدي بلعباس و من الغرب بالمغرب، فموقعها الجغرافي يمنحها لقب الولاية الرائدة وذالك لإحتوائها على أربعة تضاريس مختلفة : الخط الساحلي، السهول، الهضاب المرتفعة والفيفاء .

فتلمسان من أحسن مدن الشمال الإفريقي الغربي موقعا، لكونها في ملتقى الطرق الرئيسية الرابطة بين الشرق و الغرب من جهة، وبين الشمال والجنوب من جهة أخرى، فالداخل للمغرب

[1] – يحي بوعزيز، المرجع السابق ص 33.

الأقصى أتيا من تونس و الجزائر و الخارج منه آتيا من مراكش أو فاس لابد له من المرور عليها، و النزول والإقامة ولو أياما قلائل.[1]

فهي تحتل موقعا جغرافيا رائعا، فهي تتوسط ملتقى الطرق الرئيسية بين الشرق و الغرب وبين الشمال و الجنوب، و بالتالي فإنه يمكن الحكم عليها أنها المدينة الوحيدة التي تجمع بين التل و الصحراء، فهي مطلة على البحر و مطلة على الصحراء، وقد أعتبرت على مر العصور نقطة و مركزا مهما للحرب و التجارة و طلب العلم و السياسة و تمتاز تضاريسها بثراء كبير وتنوع في سطح الأرض من جبال و سهول، و تلال و جداول و أودية و مناخ معتدل و نقي وتتألف جبال تلمسان من أربع سلاسل تكاد تكون متوازية و هي كالتالي، سلسلة جبال تنوشفي المطلة على مدينة سبدو الواقعة نحو الجنوب، ثم سلسلة جبال بني إسماعيل الممتدة من أولاد ميمون شرقا إلى مدينة سبدو غربا ثم سلسلة جبال لالة ستي المطلة أو المشرفة على مدينة تلمسان.

فتلمسان و ما حولها إقليم فسيح من أوفر أقاليم المغرب في الخيرات و رخاء فهي منطقة سهول وهضاب كثيرة، الوديان ووافرة الأمطار في الشتاء وتحيط بالمدينة سهول و هضاب كثيرة الوديان ووافرة الأمطار في الشتاء، و تحيط بالمدينة سهول من جميع جهاتها الأربع، و تمتاز بجودة تربتها و تطغى عليها بساتين فيحاء، و رياض غناء تتخلل هذه السهول جداول تجري فيها المياه على مدار السنة بالإضافة إلى تلك الأودية الثلاثة المعروفة وهي واد تافنة واد الخميس وواد

---

[1] – حاج محمد بن رمضان شاوش .باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بنو زيان – ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1995 ص33.

يسر، و رغم موقعها في إقليم مناخ معتدل حار صيفا إلا أنها تمتاز بمناخ معتدل حار صيفا إلا أنها تمتاز بمناخ معتدل حتى في فصل الصيف، لأن الرياح الصحراوية لا تؤثر فيه، كون السلاسل الجبلية لجبال الأطلس تقيها من تسرب هذه الرياح، كما يمتاز هذا المناخ بشدة برودته شتاء لإرتفاعها عن سطح الأرض.[1]

المبحث الثاني: الفنون الزخرفية بتلمسان

إن عملية الفتح الإسلامي للمغرب و الأندلس شملت جميع جوانب الحياة، المادية والمعنوية و الدينية و الدنيوية، فقد نقل الفاتحون معهم ما كان لديهم من مهارات فنية و صناعية قدموا بها من بيزنطة و الشام و مصر و إستقروا بها، في بلاد المغرب والأندلس، و قد إبتكروا فيها و مزجوا بعضها بالبعض الآخر و أعطوها الطابع الخاص بأقاليم الفتح الجديدة، و الحق أن العرب والبربر تآلفوا من أول الأمر، و اختلط بعضهم ببعض ربما بسب تشابه البيئة الطبيعية و نظام حياة الإنسان فيها و إتجاهات تفكيره، و ليس من المبالغة أن نقول أن البربر و جدوا في الإسلام الحل السليم الذي وجده العرب قبلهم بمسائل الحياة

و تنظيمها فكان إقبالهم عليه بشكل كبير.[2]

و بالتالي فالطابع الذي يظهر فيها يعد كعلامة مميزة لفنونهم الزخرفية عن باقي فنون أقاليم الخلافة الإسلامية في المشرق، بحيث يمتاز هذا الطابع بإبداع في تصاميم البناءات و كثرة الزخارف المتشابهة و البديعة المشتملة على أحجار الرخام و الجبس المنحوت بدقة و المقطع

[1] – حاج محمد بن رمضان شاوش .المرجع السابق ص40.

[2] – حاج محمد بن رمضان شاوش ،المرجع السابق ،ص 166.

تقطيعا مشكلا صورا هندسية رائعة تشتبك إشتباكا غريبا إضافة الى أكاليل من الزهور نقوشها على جدار أبنيتهم، كذالك إمتاز هذا الطابع بنحت ونقش أسماء المشيدين و أشعارهم على حواف الجدران وذالك بخطوط عربية بديعة تزيد هذه الزخارف رونقا و جمالا، و هذا ما يدل على لطافة ذوقهم ورقي حضارتهم و إزدهار فنونهم إلا أن هذا الفن الزخرفي في عاصمة بني زيان الذي ينحصر في مساجدها و بعض أضرحتها أما الدور و القصور و الحمامات و المدارس و غير ذالك

من الأبنية القديمة،التي كانت تفتخر بها تلمسان، فإنها إندثرت و إنطمست معالمها و آثارها منذ أمد بعيد، بفعل تقلب أحوال الزمان ولم يبقى منها إلا القليل كمدرسة العباد بجوار جامع سيدي بومدين،والجامع الكبير و مسجد المشور و غيرها من المساجد التي لا زالت تحافظ على معالمها وآثارها منذ أمد بعيد بفعل تقلب أحوال الزمان و لم يبقى منها إلا القليل كمدرسة العباد بجوار جامع سيدي بومدين و الجامع الكبير و مسجد المشور و غيرها المساجد التي لازالت تحافظ على معالمها 1 ومن خصائص هذا الفن أيضا كذالك وجود الشرفة المسننة من الخشب فوق الأبواب الكبرى والنوافذ،و استعمال القوس المتطاولة و القوس المليئة بالمقرنصات و لم يقتصر الفن الزخرفي في عاصمة بني زيان على جانب المعمار فقط بل تعداه إلى جوانب أخرى من

تحف منقولة و أخرى ثابتة حجرية و معدنية و خشبية و غيرها و كان لهذه الحرف شيوعا وانتشارا كبيرا بالمدينة حتى أن بعض الأحياء نسبت تسميتها إلى حرفة من هذه الحرف المذكورة التي ساهمت في رقي و ازدهار حضارة تلمسان و من هذه الأحياء حي الفخارين، الصباغين، السراجين، و الحدادين وغيرها من الأحياء و الأزقة و الأسواق، كما تجدر الإشارة للإعتراف أن

هذه الأحياء و الأزقة و الأسواق كما أن هذه الصناعة لم تكن حكرا على الرجال فقط بل النساء أيضا كن يشاركن فيها فكانت لهن يد ماهرة في صنع الأثوبة الصوفية و الخمائل و التطريز و الخياطة و ذالك كله في بيوتهن، [1]

و قليل من هذه الصناعات لازالت قائمة تقاوم عصر الآلة و التكنولوجيا الحديثة و منها ما إندثرت و لم يبق منها إلا تسمية الحي المنتسب للحرفة التي كانت قائمة به، و ما يهمنا من هذه الصناعات هو جانبها الزخرفي محاولين بذاك إبراز مستواها الفني الزخرفي حتى نتعرف على مهارة الفنان التلمساني و ذوقه و مدى تجسيده لحسه الواقعي أو الخيالي على هذه الانجازات والتحف ونباشره باستعراض ما وصل اليه من مستوى في فنه و بالتالي معالم تلمسان الزخرفية كثيرة و متعددة تمثلت في مساجدها و مدارسها و أضرحتها و قصورها و حماماتها ومن أهم المساجد المشهورة في تلمسان خاصة هي أربعة كالتالي : المسجد الكبير، جامع سيدي ابراهيم المصمودي جامع سيدي الحلوي*، وجامع سيدي أبي مدين شعيب و من أجمل الزخارف الجصية في تلمسان ما نراه في مساجدها كالجامع الكبير الذي يتضمن كتابة أثرية تشير إلى أنه أنشئ سنة 530ه /1130م و هذه الكتابة المنحوتة على الجص تقع على الأوجه الأربعة من قبة محراب الجامع الكبير وقد كتبت بأسلوب أنيق وهي ليست محصورة في إطار ولا يتخللها تزويق[2] ويشتمل الجامع الكبير كغيره من جوامع تلمسان على قاعة للصلاة و صحن أو فناء و أروقة

[1] – حاج محمد بن رمضان شاوش المرجع السابق، ص170.

[2] – صادق خشاب تأثير الفن الزخرفي على نظيره المغاربي –رسالة لنيل شهادة الماجستير2000 ص 75.

*سيدي ابراهيم المصمودي : هو الشيخ العالم الزاهد سيدي ابراهيم محمد المصمودي و أصله من صنهاجة توفي سنة 805ه.

تحيط بالصحن و مئذنة و قاعة للصلاة أما جامع سيدي الحلوي فهو يقع في الشمال الشرقي من المدينة به ثلاث أبواب و هو شبيه بجامع سيدي أبي مدين شعيب واحد غربي وآخر شرقي والثالث هو الأكبر و الأعظم و يمتاز بخصوصية زخرفية قريبة من باب سيدي بومدين أما جامع سيدي إبراهيم بن محمد المصمودي *فهو نموذج يحاكي جامع سيدي بومدين في قاعة الصلاة ذات الأربع بلاطات.

أما جامع سيدي أبي مدين الذي سوف نتطرق إليه بالتفصيل فهو ينتسب إلى شيخ المشايخ العالم الجليل الولي الصالح سيدي أبي مدين شعيب **و معظم هذه المساجد السالفة الذكر تسميتها مرتبطة بشيخ صالح أو عالم جليل أفنى حياته في العلم و العبادة و تلقين أصول العلوم الدينية والدنيوية و تكريما لأعمالهم و مآثرهم الخالدة التي قدموها للمجتمع وأناروا بها الطريق للأجيال التي عاصروها و التي جاءت بعدهم فأمر أمراء ذالك الزمن بتشييد أضرحة لهم تعبيرا عن مقامهم العالي في الدنيا و الدين لتشهد لهم عما قدموه من أعمال جليلة حتى تبقى كذالك مقصدا لأهل العلم و الدين فيما بعد يقصدها خاصة ممن درسوا على أيدي مشايخ الزوايا[1]

فالفنان التلمساني لم يقتصر اهتمامه على زخرفة معينة بل تعدى ذالك إلى أبعد الحدود ومن هذه الزخارف نجد:

**سيدي أبي مدين شعيب : شيخ المشايخ العالم الجليل و الولي الصالح الذي تخرج على يده ألف شيخ و كان زاهدا فاضلا عارفا بالله توفي في سنة 594ه

[1]- مهتاوي فايزة أضرحة الأولياء بمدينة تلمسان، رسالة ماجستير 2000 ص 63.

– أ – زخرفة الكتاب: المقصود بفن زخرفة الكتاب و كل ما إتصل بالكتاب من حيث إخراجه إلى الوجود و دون النظر إلى المضمون أو الموضوع الذي يدور حوله، و هي تتاول المادة التي كان يكتب عليها قبل إختراع الورق، والشكل العام للكتاب، والخط الذي كتب به أو الذي إستعمل لكتابة النص، و الصور التي استخدمت في توضيح هذه النصوص و كلما يتصل بفن التجليد " وكانت العناية قديما بالدواوين العلمية و السجلات في نسخها و تجليدها و تصحيحها بالرواية والضبط .

فقليل ما نجد شيء كتب عن فن التجليد و زخرفة الكتاب في مدينة تلمسان خاصة في بلاد المغرب عامة و القيروان و تونس خاصة. إلا أن هذا لا ينفي و جود هذه الصنعة في تلمسان والدليل على ذالك أن معظم أمراء بنو زيان كانوا مشجعين للعلم و العلماء، ووجود المكتبة الكبيرة للجامع الأعظم و إهتمام الأمراء بالكتاب و إعتنائهم بفروع الكتاب من نسخ و تجليد وخط وحرف و غير ذالك، ومثال على ذالك الأمير أبو زيان محمد بن أبي حمو كما ورد في تاريخ ملوك بني زيان :"نسخ رضي الله عنه بيده الكريمة نسخا من القرآن و حبسها، و نسخة من صحيح البخاري، ونسخا من شفاء لأبي الفضل عياض حبسها كلها بخزانته التي بمقدم الجامع الأعظم من تلمسان المحروسة"[1]

– ب– الزخرفة النسيجية: زخرفة النسيج صناعة ضرورية في العمران لما يحتاج إليه البشر فصناعة النسيج حرفة إمتهنها أهل تلمسان منذ أقدم العصور و عرفت تطورا بتطور الحضارات ونموها، و خاصة في عهد بني زيان فمكانها لايزال معروفا و معلوما إلى يومنا هذا ويعرف

---

[1] – محمد بن عمرو الطمار "تلمسان عبر العصور "المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984 ص 08.

بسوق الغزل و قد نشطت صناعة الحياكة نشاطا كبيرا في الماضي و لا زالت في الوقت الحاضر و تعتبر من الصناعات أو الحرف القليلة التي استمر نشاطها إلى يومنا هذا .

و قد تميزت تلمسان بصنع نوع من البرنوس بحيث يجعلون الشعر من الداخل في فصل الشتاء أ و من الخارج في فصل الصيف أو عند سقوط المطر لأن المطر يسقط فوق الثوب دون أن ينفذ الماء فيه و إذا ما سقط المطر طويلا على الثوب فليس عليك إلا أن تنفضه فتجده جافا كأنما لم ينزل عليه ماء . [1]

إضافة إلى نسيج الزرابي الرفيعة التي كانت تنسج إما من الصوف ذات الألوان الطبيعية أو الصوف المصبوغة بألوان متنوعة تحمل زخارف هندسية و نباتية جميلة لا تحول و لا تتغير ولو بقيت سنين عديدة، للإشارة أن صناعة النسيج لم تكن من خصائص الرجال فقط فالنساء كن يشاركن فيها فكانت لهن يد ماهرة في صنع الأثوبة الصوفية والخمائل و التطريز على الحرير وحتى الجلد بأسلاك من الذهب و الفضة وذالك في بيوتهن .

ومما لاشك فيه أن تلمسان عرفت رقيا و تطورا في صناعة النسيج بصفة عامة و التطريز والحياكة بصفة خاصة وهي الشهرة التي مازالت تتصف بها في هذا المجال إلى يومنا هذا.

و بالتالي فقد بلغت صناعة النسيج بتلمسان مبلغا من الدقة و الصنعة المتينة و هذا على مر العصور القديمة.

[1] – الحاج محمد بن رمضان شاوش .باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بنو زيان .ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1995 ص33.

– ج – الزخرفة المعدنية: ما وصل إلينا من هذه التحف يعتبر قليلا جدا بالنسبة لبقية التحف الأخرى و معظمها كانت تزين المساجد و القصور من ثريا و مباخر و أبواب مصفحة بالنحاس بالإضافة إلى بعض الأواني المنزلية، دون أن ننسى العملة النقدية، و من بين هذه التحف الموجودة بتلمسان ثريا الجامع الكبير المعلقة في القبة و تتوسط الرواق الأوسط من الجامع و هي من صنع حديث، و هناك الثريا القديمة الموجودة بمتحف تلمسان والتي يرجع تاريخها إلى عهد السلطان يغمراسن بن زيان، كذالك نجد جامع سيدي أبي مدين المؤدي إلى الضريح و يصفه لنا ابن مرزوق بقوله :" أما الباب الجوفي الذي ينفتح على المدرج الذي ننزل فيه إلى قبر الشيخ رضي الله عنه و إلى الشارع و هو باب من النحاس المشتمل على مصراعين كل مصراع منهما مصفح بالنحاس المنقوش."[1]

بالإضافة إلى بعض الآلات الصغيرة الموجودة في المتحف بالمدينة و مسامير فنية عتيقة جدا.

بالإضافة إلى النقود الذهبية و الفضية القديمة منها ماهو مستدير ومنها ما هو مربع الشكل، و منها ما هو مضروب في تلمسان ومنها ماهو مضروب في بقاع و أقاليم أخرى وكل هذه التحف نجدها في المتحف البلدي في تلمسان.

د–الزخرفة الخشبية : هذه الصناعة من ضروريات العمران و مادتها الخشب، و قد أستعملت هذه المادة و لازالت تستعمل بشكل واسع إلى يومنا هذا بحيث تفنن الصناع و أهل النجارة بصناعة تحف فنية رائعة تعبيرا عن مستوى رقيهم الحضاري و الفني و كذا إزدهارهم

[1] – عبد الحميد حاجيات أبو حمو موسى الزياني "حياته و آثاره الجزائر 1982 ص54.

المعماري بحيث إستعمل اللوح المصنوع من الأرز في دفات الأبواب المحفور إطارها بتخاريم صغيرة على شكل نجوم ونشاهد هذا في الأبواب المحيطة بصحن الجامع الكبير، و مدرسة العباد وفي وصف سقف جامع سيدي أبي مدين و منبره يقول إبن مرزوق في مسنده الصحيح "سقفه كله أشكال منضبطة بخواتم و صناعات نجارة كل جهة تخالف الجهة الأخرى في الوضع".[1]

ه- الزخرفة الحجرية و الرخامية :تتمثل التحف المصنوعة من الحجر و الرخام في الأحواض الكثيرة التي كانت تزدان بها القصور و المساجد و شواهد القبور و الأضرحة بالإضافة الى بعض الأ عمدة الرخامية و المرمرية التي كانت تزين بها أروقة و محارب المساجد و مساند للسقوف بالإضافة إلى البلاطات الرخامية التي أعتبرت بمثابة بساط أرضي تفرش به المساجد والقصور، فمثلا بالجامع الكبير فناء واسع مفروش بمربعات من الرخام و في وسط أحد أحواضه نافورة من الر خام يجري فيها الماء و كذالك توجد به مصطبات من الرخام يجلس عليها للوضوء، كما يوجد بمسجد سيدي أبي مدين حوض من الرخام و قوس محراب هذا المسجد محمول على عمودين من المرمر الخالص مزخرفان بتاجين منقوش عليهما بخط أندلسي أنيق و بالقرب من الساريتين اللتين أمام المحراب توجد رخامتان منقوش على أحداهما نص تاريخي و محتوى هذا النص يشير إلى السلطان * الذي أمر بتشييد هذا المسجد و الرخامة الثانية منقوش عليها نص تاريخي محتواه مقدار الأراضي والممتلكات التي أوقفها الأمير أو السلطان لفائدة الجامع أو المدرسة .

---

[1] – الحاج محمد بن رمضان شاوش، نفس المرجع السابق ص236.

و معظم البناءات الرسمية بتلمسان إحتوت على هذه المادة المزينة التي إستعملها الأمراء والأغنياء لتزيين المساجد و القصور و الأضرحة و لا زالت هذه المادة مستعملة إلى اليوم لكنها وقفا الأعلى أهل المال أو المباني الرسمية للدولة و ذالك لغلاء ثمنها.[1]

[1] – الحاج محمد بن رمضان شاوش، المرجع نفسه، ص238.

*السلطان:الأمير أبي عامر ابن السلطان أبي يحي يغمراسن بن زيان .

الفصل الثاني

مسجد سيدي أبي مدين بتلمسان

مسجد سيدي بومدين بتلمسان :

يقع مسجد سيدي بومدين الأثري في الشمال الشرقي لمدينة تلمسان، على سفح جبل شديد الإنحدار و نواة هذا المسجد عبارة عن رباط كان يتعبد فيه المتزهد ون و المتصوفون، و يرابط فيه المجاهدون كذالك، المدافعون عن البلاد و المدينة من الغارات و الهجومات الخارجية التي كانت تشنها القبائل المعادية أو البلدان المجاورة و في نهاية القرنين السادس الهجري و الثاني عشر الميلادي، قصد الولي الإشبيلي الصالح أبو مدين شعيب بن الحسن من بجاية في طريقه إلى فاس، وتوفي بعين تاقبالت قرب تلمسان .قبل أن يصل إلى هذا الرباط، المعروف بالعباد فنقل إليه و دفن هناك عام 596ه الموافق لعام 1197م فاشتهر الحي به و أصبح يعرف بعباد سيدي بومدين، وبني عليه ضريح ودفن معه الشيخ عبد السلام التونسي شيخ عبد المؤمن الموحدي مؤسس و بني الدولة الموحدية الكبيرة التي إمتدت سيطرتها السياسية وفي هذا الحي، أي حي العباد وبجوار ضريح الشيخ أبي مدين شعيب شرقا بني المسجد بأمر من السلطان المريني أبي الحسن عام 739ه الموافق لعام 1339م، وقد أسس على أرض مائلة و يتألف من قاعة للصلاة مستطيلة الشكل،على غرار المسجد الأعظم بتلمسان، وندرومة، ويحتوي على عشرين سارية مربعة الشكل و عالية و في مؤخرة القاعة غربا ساحة بوسطها نافورة مياه وصهريج للوضوء وحولها على اليمين و اليسار، رواقان إمتدا لقاعة الصلاة و في نهاية الرواقين غربا على اليسار و اليمين قاعتان صغيرتان مرتفعتان عن ساحة المسجد مخصصة للنساء.[1]

---

[1]– يحي بوعزيز .المساجد العتيقة في الغرب الجزائري.منشورات 2011 ص123

و لمسجد سيدي أبي مدين طبعا، باب رئيسي كبير في مؤخرته الغربية صنع من شجر صلب ومزين بمسامير نحاسية كبيرة و جميلة. وله قفل تقليدي ضخم من الداخل و غلف بصحيفة من البرونز جميلة و مزخرفة و في مؤخرة المسجد على اليمين توجد منارة و مئذنة المسجد المربعة الشكل، و المزخرفة بنقوش جميلة جدا . تضفي على المسجد والحي بكامله روعة وبهاء، و قد زينت كثير من جدران المسجد و المحراب، بنقوش و آيات قرآنية كريمة.

وللمسجد مدخلان جانبيان آخران على اليمين وعلى اليسار، ومدخل رابع خاص بمكان الصلاة عن الموتى، و يقع على اليسار الشمالي وراء المحراب.[1]

وعندما إندثر منبره الأصلي قام الامير عبد القادر بتجديده خلال حكمه لها ما بين 1834-1839م .و كتب على مقدمته، بيته الشعري التالي :

ومن تكن برسول الله نصرته أن تلقه الأسد في أجامهاتهم.

وفي مؤخرة المسجد على اليسار بيت لتعليم الأطفال القرآن الكريم و تعتبر جزءا من القاعة و ذالك في كتابه المسند الصحيح الحسن في محاسن مولانا أبي الحسن .وتعين خطيبا فيه، و كان أبوه أبو مرزوق الجد، قبله خطيبا في نواة المسجد، أو في ضريح أ بي مدين الملازم له غربا, الذي كان رباطا للعبادة و التدريس، وما تزال حتى اليوم خرائب منزل أبي مرزوق و أسرته . وحسب رواية الأستاذ شعيب أبي بكر شقيق إمام المسجد الشيخ محمد أبو بكر، فان هذا المنزل لم يبع إلا من حوالي ستين أو سبعين سنة لصالح الأوقاف التي جددت بناءه في شكل بيت استغلت في أغراض الضريح و المسجد.و لقد أ سس مسجد سيدي بومدين على تقوى من الله

[1] – عبد العزيز فراح، تلمسان المدينة المحراب منشورات ص 15- 16.

ورضوان وعاش أمجادا زاهرة فدرس به علماء فطاحل وزاره أمراء وسلاطين عظام، وكان قبلة للمعلمين، و المتعلمين، على السواء أحقابا طويلة من الزمن .و تخرجت منه أجيال كثيرة من العلماء و الفقهاء و المحدثين و الأصوليين و الشعراء و الأدباء، وتصدى للتدريس فيه عبد الرحمان بن خلدون، وأخوه يحي، وإبن مرزوق الخطيب، والحفيد، وقضاة عائلة أسرة العقباني وغيرهم وتجاوزت شهرتهم القاصي و الداني في صقاء المغرب، والأندلس بل وحتى المشرق.[1]

ومما زاد هذا المسجد، أي مسجد سيدي بومدين مكانة هو وجود قبر و ضريح الولي الإشبيلي البجائي الصالح أبي مدين شعيب بن الحسين (الشكل 1) ، الذي درس ببجاية سنوات طويلة وصلت الى أربعة عشر عاما وتزوج بها بالإضافة إلى وجود المدرسة اليعقوبية التي أسسها أبو الحسن نفسه للتعليم و التدريس وهي جميلة ذات قبة خشبية نادرة الوجود حتى في المغرب الأقصى، فزخارفها ونقوشها مزينة بآيات قرانية، و يتكون أيضا من ساحة خلفية غرب القاعة تتوسطها فوارة مياه وصهريج صغير وتحيط بها على اليمين و اليسار و الوراء بيوت يسكنها الطلبة في الطابق الأرضي وفي الطابق العلوي .وهي التي كان يدرس بها إبن خلدون كذالك أيام أزماته السياسية التي كان يتعرض لها مع عروش وبلدان المغرب في عهد بني حفص، وبني زيان,وبني مرين.[2]

---

[1] – يحي بوعزيز مصدر سابق ص 125.

[2] – رشيد بورويبة، الكتاباب الأثرية في المساجد الجزائرية منشورات ص 114.

إن هذه المدرسة لعبت مع المسجد، أي مسجد العباد دورا رائدا في النهضة الفكرية الدينية والأدبية، والتربوية، وكانت هي و المسجد، والضريح خيرا و بركة على الحي، والمدينة والبلاد الجزائربة و المغاربية بصفة عامة .

إن هذا المجتمع الديني و العلمي في المسجد، في تلمسان كان محج العلماء و الفقهاء والمحدثين و اللغويين، و الشعراء و الأدباء و طلبة العلم على إختلاف إتجاهاتهم و طموحاتهم .

بل و حتى الأمراء و السلاطين و الوزراء وكان ضريح أبي مدين يستهويهم للزيارة و الإتصال بالعلماء الأجلاء، و التحدث إليهم وسماع دروسهم و الجلوس إلى حلقاتهم العلمية الحية الزاخرة بالعلوم و المعارف و المواعظ, و النوادر الفقهية و الأدبية .

إن هذا المسجد الذي إستقطب أجيالا من العلماء و الفقهاء وطلبة العلم يتعرض اليوم لمحنة السقوط و كارثة الزوال بفعل المياه التي تتسرب إليه من أعلى المساكن الفوضوية التي بنيت أعلاه شرقا في سفح الجبل.[1]

و قد بدأ التآكل ينال من سواري المسجد من على اليسار، فأخذت قشورها تسقط كما أن المدرسة المجاورة له تتعرض للتآكل، و التصدع من كل جوانبها بعد أن سلمت لفرق الكشافة لتزاول نشاطها، وهي لا تعرف بالتأكيد قيمة هذا المآثر و المعلم التاريخي العظيم والعريق والهام الذي تخرجت منه أجيال تحمل راية العلم و الأدب .

و بالتالي فالمسجد و المدرسة، و ضريح أبي مدين، بحاجة ماسة إلى العناية و الترميم والمحافظة عليها لأنها إحدى المعالم الحضارية الكبرى لا لتلمسان وحدها، وإنما لكل الجزائر،

[1] – يحي بوعزيز مصدر سابق ص 127.

وبلدان المغرب الأخرى بل وللعالم أجمع في اطار الحضارة الانسانية مادامت منظمة اليونيسكو إعتبرته منطقة حضارية، و سجلته ضمن المناطق الأثرية التي تهتم بها و توليها الرعاية المطلوبة.

ويقوم حاليا إمامه الفاضل، الشيخ محمد أبوبكر، و شقيقه الأستاذ شعيب أبو بكر، بدور رائد في إعطاء الدروس يوميا بالمسجد، وتلاوة الحديث النبوي الشريف مرتين في كل أسبوع وأداء الصلوات الخمس، كما يتوليان رعاية الضريح، الذي يعتبر مقبرة لأسرتهما كذالك على مدى مائتي عام كاملة حسب ما أكده الأستاذ شعيب أبو بكر شقيق الإمام .

وهناك عدد كبير من أفراد أسرتهما دفنوا في ساحة القبة التي تتوفر على بئر للمياه العذبة التي ماتزال حتى اليوم تستغل لإرواء العطشى من الزوار و أيضا سكان المنطقة رجالا و نساء و أطفالا.[1]

وهكذا يكون مسجد سيدي بومدين الذي أسس على تقوى من الله و رضوان منذ أكثر من ستة قرون ونصف القرن، فقد أدى رسالته الدينية و الحضارية على أكمل وجه، وشارك في حركة التنوير الواسعة التي شهدتها تلمسان و الجزائر، وكان إحدى القلع الحصينة للثقافة والتعليم والتأليف والوعظ والإرشاد الديني والإجتماعي .وصمد لكل عوامل الزمن، وقاوم الضغط الإستعماري وواصل أداء رسالته الدينية، بكل حزم ونشاط، و أبدت الإطارات الدينية فيه نشاطا دؤوبا على مر التاريخ خاصة في الفترة الإستعمارية التي حاول المستعمر طمس وجه الجزائر الإسلامي، وتحقيق سياسة الفرنسة والإدماج .

[1] – د سعد بوفلاقة، أوراق تلمسانية 1432–2011,ص47.

وبالتالي إن المسجد ومدرسته و ضريحه، هو الذي يعطي لمدينة تلمسان أصالتها الاسلامية ويضفي عليها الروعة و الجمال، و يكسبها مسحة إسلامية فائقة الروعة تمتد جذورها إلى أعماق التاريخ .و يذكر الناس و الأجيال الصاعدة بماضيها العريق و المشرق و الأصيل، وهذا ما يجعل ويحتم من أصحاب الإختصاص الإسراع في ترميمه وإصلاحه من الأضرار التي لحقت به وذالك ليواصل رسالته، كبيت من بيوت الله أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه، وتعمر بالمسلمين المؤمنين المتعبدين الصالحين.[1]

ومن ميزة هذا المسجد أنه حافظ على نظامه التخطيطي الأول إلى اليوم رغم كثرة التعديلات التي طرأت عليه إلا أنه بقي يكابد الزمن المتغير.[2]

المبحث الاول : تاريخ انشاء المسجد

شهدت فترة حكم السلطان "أبو الحسن" توسعا كبيرا للدولة المرينية على حساب أراضي المغربين الأوسط و الأدنى فما أن تمكن هذا السلطان من دخول مدينة تلمسان سنة 738ه/1336م,حتى بادر إلى البناء و التعمير، وكان من جملة ماشيده مسجد العباد[3] و الذي يسمى اليوم بمسجد سيدي بومدين[4] الذي بناه السلطان الموحدي "محمد الناصر"في السنوات الأخيرة من القرن السادس الهجري، و الحادي عشر الميلادي وقد زينت واجهة بابه الشمالي بنقش تأسيسي بنص كالتالي:

[1] – يحي بوعزيز مصدر سابق ص 128.

[2] – د.مبارك بوطارن العمائر الدينية في المغرب الأوسط .ص 120.

[3] – العباد :بلدة صغيرة على السفح الشمالي لجبل مفروش على بعد حوالي 2كلم من جنوب غرب تلمسان.

[4] – سيدي بومدين : إسم الشخصية المشهورة المدفون بالمنطقة و الذي يستحق مجدها الفني.

الحمد لله وحده أمر بتشييد هذا الجامع المبارك مولانا السلطان عبد الله ابن مولانا السلطان أبي سعيد عثمان إبن مولانا السلطان أبي يوسف يعقوب إبن عبد الحق أيده الله و نصره عام تسعة وثلاثين و سبعمائة نفعهم الله .

وقد أصبح هذا المسجد يعرف بمسجد سيدي أبي مدين نسبة إلى الشيخ الصوفي أبي مدين الأندلسي الذي دفن في هذا المكان، و على الرغم من مضي فترة طويلة على بنائه فإنه لا يزال محتفظا بنظامه التخطيطي الأول إلى يومنا هذا.[1]

المبحث الثاني : النظام التخطيطي للمسجد و الواجهة الخارجية له

لقد بني مسجد سيدي أبي مدين على شكل مستطيل(الشكل2) يمتد من الشمال إلى الجنوب، تبلغ أطواله 28,85×18,95م,ويتوسط المستطيل صحن مكشوف مربع الشكل يبلغ إتساعه 10,20م في حين يقدر عرضه ب:11,35م، و أرضيته منخفضة قليلا عن مستوى أرضية المسجد، و يحف بالصحن بوائك بيت الصلاة و الجانبان الشرقي و الغربي، ويلاحظ أن تخطيط مسجد سيدي أبي مدين لم يتأثر بتخطيط المساجد الزيانية السابقة و الذي يقتصر على إقامة بيت الصلاة ويفتقر إلى الصحن و هذا التخطيط يعود بنا الى النظام التخطيطي التقليدي للمساجد الجامعة ويتكون من صحن تحف به البوائك من جميع الجهات، وقد كان لتخطيط هذا السجد تأثير كبير على المساجد المرينية التي بنيت بعده مثل مسجد سيدي الحلوي وعلى المساجد التي ترجع إلى فترات متأخرة من العصر الزياني، و التي شيدت عقب عودة تلمسان إلى الحكم الزياني مثل

[1] – وليم جورج مارسي، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان ط 2011 ص 303.

مسجد سيدي إبراهيم ذالك أن هذين المسجدين السابقين قد خضعا في تخطيطهما إلى درجة كبيرة لمخطط مسجد سيدي أبي مدين.[1]

1-بيت الصلاة : صمم بيت الصلاة على شكل مستطيل وتمتد إستطالته عرضيا بالنسبة للمخطط العام للمسجد و يبلغ طوله 18,90م، و هو في ذالك مساو لعرض المسجد, أما إتساعه فيقدر 14م، و تقسم هذه المساحة أربعة صفوف من الدعامات ينشأ عنها خمس بلاطات عمودية على جدار القبلة, تمتد من الجدار الشمالي لبيت الصلاة و تنتهي عند الصف الأول من الأعمدة التي تحد أسكوب المحراب يستثني من ذالك البلاطة الوسطى التي تمتد بائكاتها الى جدار القبلة.

والجدير بالملاحظة أن هذا الأسلوب المعماري المتبع في هذه البوائك لم يظهر من قبل في أي مسجد من مساجد المغرب الأوسط، و ربما يكون مرجع ذالك تأثره بأسلوب المساجد المرينية في المغرب الأقصى فنظام تخطيط جامع تنيمال يشابه نفس نظام مسجد سيدي أبي مدين ذالك أن معظم بوائك المسجد تنتهي عند الصف الأول من الدعامات التي تحدد أسكوب المحراب، ماعدا بوائك البلاطتين الجانبيتين، و البلاطة الوسطى الممتدة الى جدار القبلة و يلي هذا المسجد مباشرة "جامع الحمراء" بفاس الجديدة الذي يرجع تاريخ بناءه الى سنة 675ه -1276م في عهد السلطان "أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق",وفي مخطط هذا الجامع نلاحظ أول نموذج لهذه البلاطات، الموجودة بمسجد سيدي أبي مدين بتلمسان وبالتالي نستنتج من ذالك أن مهندس مسجد هذا الأخير

[1] – نفس المرجع ، ص 110.

قد إستوحى تخطيطه من الجامع الكبير بفاس الجديد خاصة أن تاريخ بنائهما يرجع إلى فترة واحدة.[1]

المحراب : يتوسط جدار القبلة جوفة عميقة سداسية الأضلاع عمقها 2,20م و عرضها 1,70م تعلوها قبيبة صغيرة مقرنصة (شكل3) تشبه مقرنصات قبيبة محراب مسجد سيدي أبي الحسن، و تستند هذه المقرنصات إلى إفريز مثمن الشكل يزين بشريط كتابي نقش فيه بخط النسخ، و يستند هذا الشريط الكتابي إلى مجموعة من العقود الزخرفية نصف الدائرية و قد زينت بزخارف على شكل محارات وهي في ذالك تشبه العقود المرينية في المغرب الأقصى.

وتقوم هذه العقود على أعمدة رفيعة من الجص تلتصق بجدران جوفة المحراب وتتخذ من الإفريز الذي يحيط بالمحراب على مستوى تاجي العمودين اللذان يحملان عقده أما القسم الأدنى من جوفة المحراب فتقل فيه الزخرفة.[2]

واجهة المحراب :تشتمل على عقد نصف دائري متجاوز لنصف الدائرة يحف به عقد أخر زخرفي مفصص، أما بنيتا العقد فتتوسطهما زخرفة مستديرة على شكل محارة، و تحيط بها شبكة التوريقات تتمثل في مراوح نخيلية مختلفة الأشكال، تزينها زخارف كتابية تشكل تربيعه العقد ويرتكز العقد المذكور على عمودين رخامين رفيعين ينتهي كل منهما من أعلى بتاج ويعلو هذه اللوحة الزخرفية ثلاث نوافذ جصية معقودة بعقود نصف دائرية تزينها سنجات صغيرة على غرار سنجات عقد المحراب، و تفصل بين هذه النوافذ أشرطة عمودية من الزخارف النباتية كما

---

[1] – وليم جورج مارسي، مصدر سابق ص 110.

[2] – وليم جورج مارسي، مصدر سابق ص 112.

تحيط بها أشرطة كتابية، و تنتهي زخارف واجهة المحراب من الأعلى بخمسة عقود أخرى على طراز عقود النوافذ الثلاثة، و هي عقود زخرفية تشغل مساحاتها الداخلية مجموعة من الزخارف الهندسية و النباتية، وتنتشر هذه الزخارف الأخيرة بالواجهات الأربعة لقاعدة القبة، و يشبه أسلوب الزخرفة في واجهة هذا المحراب زخارف واجهة محراب المسجد الكبير بتلمسان و واجهة محراب مسجد سيدي أبي الحسن ويظهر هذا التشابه على نحو واضح في شكل العقد والسنجات التي تحليه مما يوحي بالتأثير الذي تلقاه هذا المحراب من المحرابين السابقين أما الواجهة الخارجية للمسجد فقد إهتم الفنان بالواجهة الشمالية للمسجد فزينها و نظمها في شكل هندسي أضفى على المسجد رونقا وبهاء، و تتكون الواجهة من بناء يبرز عن جدار المسجد الشمالي، و تتمثل زخرفة الواجهة الشمالية بعقد كبير على شكل حذوة فرس منكسر قليلا في نهايته العليا، يبلغ إرتفاعه سبعة أمتار.

وعرضه ثلاثة أمتار، و يحيط بالعقد ثلاثة أشرطة متوازية من الآجر تتخللها بين الفينة والأخرى حلقات مجدولة تلتف حولها على شكل زخرفة مضفرة، و يأتي فوق هذه الحلية إفريزان بارزان من الآجر يمتدان أفقيا و يحصران بينهما شريطا آخر من الكتابة يشتمل على النقش التأسيسي كتب بالخط النسخي على أرضية من الفسيفساء، أما المساحة المستطيلة التي تمتد أعلى هذا الشريط الكتابي، فقوام زخارفها خطوط هندسية متقاطعة مخلفة زخارف هندسية متعددة الأشكال تجتمع حول خمسة نجوم.

ويتوج هذه الواجهة طبقة من القرميد اللامع محمولة على واحد و عشرين زوجا من الكوابل الرفيعة من الآجر، تمتد في إفريز أفقي و يحدها على الجانبين أربعة أزواج من كوابيل أخرى بارزة قليلا إلى الأمام، و تعتبر هذه الواجهة أول نموذج من المغرب الأوسط حيث لم يسبق لها عهد بمثل ذالك في المساجد المرابطية و الزيانية التي تميزت واجهاتها الخارجية بالبساطة، أو حتى تلك التي ترجع إلى فترات سابقة.

و لم تقف زخرفة الواجهة عند هذا الحد، بل امتدت إلى الداخل الذي يصل بين الخارج والمسجد، حيث يدخل إلى المسجد من واجهته عبر درج يتكون من إحدى عشرة درجة.(الشكل4).

و تشتمل دفتا الباب على زخارف هندسية قوامها أطباق نجمية كبيرة مرسومة في إطارات مربعة تشكلها عناصر هندسية أخرى متعددة الأضلاع و زخارف نباتية من مراوح النخيل الملتوية، و تشكل صفوفا متوازية تملأ الفراغات، وقد أكسبت الباب حلة زخرفية رائعة(الشكل5).

الفصل الثالث

مكونات الزخرفة في المسجد

المبحث الأول: العناصر المعمارية

لقد تمثلت العناصر المعمارية في كل ما ساعد المسجد على الصمود و الحفاظ على شكله العام سواء من الداخل أو الخارج من روافع وتيجان و ساريات و التي سوف نتطرق لها بالتفصيل.

أ-التيجان: العمودان العقيقان الوحيدان في المسجد الحاملان لعقد المحراب، مكللان بتيجان ذات أشكال أنيقة و صناعة بارعة جدا .

و تظهر لنا هذه التيجان فرقا جليا بينها و بين تيجان أخرى من نفس العهد حيث أن النقش أكثر قوة و المظهر العام أكثر ليونة و عرضا و خيال الصورة العام أكثرجلاء ووضوحا و تحمل أيضا نفس العناصر الأساسية للأنماط الأولية حيث نجد الكعيبات[1]

الحلزونية و التعرج المتقوس[2] و السعفات و حلزونيات الزوايا .

و تتصل العصابة [3] العريضة جدا مباشرة مع بقية التاج(الشكل6) و هي كذالك مغطاة بزخارف لطيفة من نحوت مزينة بالألوان و بالتالي فإن منحى المتقوسات و حجم الحلزونية وضعيتها حيث يتـعامد محورها مع أقطار العصابة و يشبه إرتباط هذه التيجان

المرينية بالأنواع القديمة من القرن 12م المبنية في المنصورة .

---

[1] - كعيبات جمع كعيبة :حلية خيزرانية في قاعدة التاج على شكل كعب الكاحل

[2] - المتقوسة حلية ناتئة تشبه ورقات نبات مقوسة الشكل

[3] - العصابة:أعلى تاج العمود

كما إمتازت هذه التيجان بكل تأكيد عن بقية التيجان و ذالك بفضل الحنية[1] العامة و تناسب بقية أجزائها المختلفة و شمولية هذا النموذج المجسم إذن فنحن هنا أمام إحدى الصناعات الأكثر إبداعا و إبتكارا في الفن المعماري المغربي.

أضف إلى ذالك أسلوب الزخارف السطحية الذي يتجانس و يترابط بطريقة وثيقة مع بقية زخارف المسجد و الكتابة المنقوشة التي تسجل تاريخا لا يقبل نقاشا أو جدلا.

وقد كتب في التاج الأيمن "هذا ما أمر بعمله أمير المسلمين أبو الحسن إبن مولانا أمير المسلمين أبي يعقوب"[2]

وفي التاج الأيسر "إبتغاء وجه الله العظيم و رجاء ثوابه الجسيم,كتب الله له به أنفع الحسنات و أرفع الدرجات"

ومن المناسب هنا أيضا الإشارة إلى التيجان الجصية الصغيرة للأعمدة المندرجة، فهي تشكل جزءا من زخرفة الأقواس1.

الأبواب : يبلغ عدد أبواب المسجد سبعة أبواب، منها ثلاثة رئيسية إثنان منهما في الجدارين الشرقي و الغربي للمسجد على الأسكوب الرابع من بيت الصلاة و هما بابان بارزان عن سمت الجدار أما الباب الثالث فينفتح في الجدار الشمالي للمسجد الواقع في محور المحراب، ومن الملاحظ أن هذا الطراز من الأبواب قد ظهر في المغرب الأوسط

---

[1] - الحنية:رشاقة الخطوط مع انحنائها

[2] -وليم جورج مارسي . المعالم الاثرية العربية لمدينة تلمسان من سلسلة المنشورات التاريخية 3 ص348.

لأول مرة في أبواب المسجد الجامع بتلمسان زمن الموحدين ثم ظهرت بعد ذالك في مسجد أبي الحسن و لكن تخطيطه يختلف عن تخطيط بابي مسجد سيدي أبي مدين,و يستبعد أن يكون المهندس قد إقتبس هذا التخطيط من مسجد سيدي أبي الحسن، لأن أبواب مسجد المنصورة1 المندثر تشبه أبواب مسجد سيدي أبي مدين, وإذا علمنا أن مسجد المنصورة قد أسس أثناء حصار تلمسان فهذا يؤكد ما أشرنا إليه سابقا من أن نظام أبواب مسجد سيدي أبي مدين لم تقتبس من نظام أبواب مسجد سيدي أ بي الحسن، بل الأرجح أن تكون الفكرة قد إنتقلت إليه من المغرب الأقصى .

و يشتمل المسجد أيضا على أربعة أبواب أخرى صغيرة، منها بابان ينفتحان على يمين المحراب و يساره و يؤديان إلى غرفة كبيرة تقع وراء المحراب، وهذه الغرفة بدورها تحتوي على باب ثالث ينفتح في الجدا ر الشرقي لها يؤدي إلى الخارج كونه مخصصا للإمام، أما الباب الرابع فينفتح في الجدار الشمالي و يؤدي إلى درج المئذنة.[1]

القبة : و تشغل المجال المربع الذي يتقدم المحراب، و تتكون من قاعدة مربعة تأتي فوقها قبة مستديرة و مخرمة بخروم ذات أشكال هندسية مختلفة يزينها زجاج مختلف الألوان و يشغل الأركان الأربعة التي تقع بين القاعدة المربعة و الرقبة المستديرة مقرنصات من نفس طراز المقرنصات التي تشغل قبة المحراب ويأتي فوق الرقبة مباشرة نحر دائري عريض نقشت عليه زخارف خطية لتستند عليه القبة (الشكل7). و القبة مكسوة بطبقة من الجص تزينها خروم وتتخذ هذه الخروم أشكالا نباتية كالسيقان النباتية و أوراق مختلفة الأشكال و مما يستدعي النظر أن هذه

[1] – وليم جورج مارسي المصدر السابق ص 149 2 د.مبارك بوطارن . العمائر الدينية في المغرب الأوسط ص207.

القبة لا تشبه قبة المحراب و ليست من طراز القباب الزيانية و لا المرابطية في المغرب الأوسط، كما أنها لا تشبه قباب المساجد المرينية في المغرب الأقصى و التي كثيرا ما أتخذت نموذجا في بناء مساجد المغرب الأوسط آنذاك، و هذا ما يجعل من المحتمل أن هذه القبة إما أن تكون قد ألحقت بالمسجد في فترة لاحقة من تاريخ بناء المسجد وهذا أمر مستبعد أو تكون قد جددت وهو ما نرجحه، لأن مقرنصات الأركان التي حولت بواسطتها القاعدة المربعة الى رقبة مستديرة هي من طراز المقرنصات التي ظهرت لأول مرة في المغرب الأوسط في القبيبة الصغيرة التي تتوج قبة محراب المسجد الجامع بتلمسان، ثم استخدمت مع بعض التطوير في مسجدي سيدي أبي الحسن و أولاد الإمام، وها نحن نجدها مستعملة في القبة التي تغطي محراب المسجد وفي الأركان الأربعة لقاعدة القبة نفسها مما يثبت أن المسجد كان يشتمل على قبة منذ الأيام الأولى لبنائه، وأن الطراز الجديد الذي زخرفت به القبة إنما هو نتيجة تجديدات جذرية ألحقت في فترات متأخرة بالقبة.[1]

المبحث الثاني: العناصر الزخرفية

شغلت الزخرفة حيزا كبيرا في مسجد سيدي أبي مدين فكست أو غمرت معظم مساحات المسجد من جدران و عقود و سقوف وواجهات وهو ما لم يظهر في العمائر المرابطية ولا الزيانية بهذه الوفرة، و قد إمتزجت العناصر النباتية والخطية و الهندسية فيما بينها في نسيج

[1] – مبارك بوطارن، المصدر السابق ص 122.

متجانس فألبست جدران المسجد حلة زخرفية بديعة قلما نجدها في العمائر السابقة بالمغرب الأوسط وقد أدت إلى وفرة هذه العناصر إلى ضرورة تناول كل عنصر منها على حدة :

1- الزخارف النباتية :و هي ليست على درجة زخارف عهد المرابطين، إذ يلاحظ على الزخارف النباتية في مسجد سيدي أبي مدين فقر شديد في تنوعها، فلا نشاهد المراوح النخيلية المعقدة و المحلات بزخارف مسننة و تتمثل الزخارف النباتية في مسجد سيدي أبي مدين فيما يلي :

أ-السيقان النباتية :و هي رفيعة تنطلق من نقطة غير معلومة و تنتهي بمروحة نخيلية، ويغلب عليها طابع الاستدارة و تكون أشكالا زخرفية على شكل حلقات دائرية(الشكل8)

ب- المراوح النخيلية : يغلب عليها طابع البساطة في رسمها، فهي ملساء و تتكون عادة من فصين مختلفين في شكلهما الذي أدى الى تنوع شكل المروحة النخيلية، و ربما قصد الفنان تغيير شكل فصوصهـا لتجنب التكرار وإبراز هذه الورقة في أشكال مختلفة، و إن كانت فكرتها الأصلية واحدة فرسم مراوح نخيلية ملتوية الشكل تتخذ من علامة استفهام أسلوبا لها، وزينت بها المساحات العليا الممتدة بين نوافذ المحراب و الجدران و لقد عمد الفنان إلى استخدام المروحة النخيلية القصيرة إلى جانب الطويلة، لملء الفراغات الجصية الناجمة عن الزخارف الأخرى، وكذالك نوع الفنان في أشكال المروحة النخيلية المزدوجة إذ اهتم بفرعيها، فنتج عن ذالك كما ذكرنا سابقا تنوع في أشكال الورقة فرسم ما يلي :

-ورقة ذات فرعين: يمثل الأول فرعا مستقيما، و الثاني ملتو إلى الخلف وورقة تتكون من فرعين (مروحتين) معكوفتين في نفس الاتجاه وورقة تتكون من فرعين :الأول قصير على شكل حلقة والثاني طويل ملتو.

العناصر النباتية المحورة : يتمثل هذا النوع من الزخارف في المراوح النخيلية القصيرة التي تتكون من فرعين أضيف إليهما فرع ثالث في الوسط مما غير من شكلها الأصلي وجعلها بين الزهرة الثلاثية الفصوص و المروحة النخيلية وقد استعمل الفنان إلى جانب هذه العناصر أيضا أشكالا ز خرفية أخرى، وتحلي هذه العناصر التيجان الجصية لعمودي المحراب و المساحات التي تفصل بين نوافذ واجهة المحراب[1] .

2- الزخارف الهندسية : إذا كانت الزخارف النباتية قد إنتشرت على نطاق واسع في معظم مساحات مسجد سيدي أبي مدين، فإن الزخارف الهندسية تقتصر على بعض المساحات القليلة كأسقف المسجد، و بعض الخطوط المستقيمة و الأفاريز المنتشرة هنا و هناك و تتميز العناصر الزخرفية و الهندسية بكثرة التكرار وباستقلالها عن بقية الزخارف مثل زخارف السقف، ويمكن حصر العناصر الزخرفية فيما يلي:

أ- الأشكال الرباعية و السداسية : و تشغل الأجزاء العليا من جدران المسجد وزخارف واجهة المحرا ب وفي زخارف بيت الصلاة.

ب- النجوم و هي متعددة الرؤوس و قد أدمجت الى جانب العناصر الهندسية الأخرى

[1] - د مبارك بوطارن، العمائر الدينية في المغرب الأوسط ص162

ج- الأطباق النجمية :وهي تختلف من طبق الى آخر بازدياد عدد رؤوسها أو نقصانها، وتتوزع على مساحات متفرقة من المسجد كما أن الفنان لم يتقيد في تنفيذها بمادة واحدة بل نقشت على الجص وعلى البرونز ورسمت على الخزف حيث تحلىت شبابيك واجهة المحراب بهاته الأطباق النجمية .

د- الأشكال الدائرية : و هي نوعان، دوائر بسيطة، ودوائر منقوشة و يزين هذا النوع من الزخارف شبكة زخارف المعينات بالمئذنة و تربيعة محراب المسجد .

3- الزخارف الخطية : تشغل الزخارف الخطية مكانة كبيرة بين زخارف المسجد المنقوشة على الجص بأشرطة عديدة من النصوص يمكن تقسيمها من حيث المضمون الى ما يلي :

أ- نصوص تأسيسية :و تشتمل على مجموعة من النقوش التي تؤرخ للمسجد، حيث يبلغ عددها أربعة نقوش و يزين الأول واجهة الباب الشمالي للمسجد، والثاني نقش على لوحة رخامية ثبتت على الدعامة الأولى التي تقع يسار المحراب(الشكل9)، و الثالث نقش على تاجي عمودي عقد المحراب أما النقش الأخير فيزين إفريز البساط .

ب- العبارات الدعائية : و هي كلمات كررها الفنان في أشرطة طويلة (الشكل10)

ج- النصوص القرآنية : وهي آيات مختلفة من القرآن تحث على العبادة، وقد أستعمل في نقش هذه النصوص الخطان الكوفي والنسخي .

أما الخط النسخي فقد نقشت به أشرطة طويلة و رفيعة تشكل تقريبا إطارا للوحات الزخرفية الأخرى، وقد أستعمل إلى جانب العناصر النباتية توريقات من مراوح النخيل، كما يشبه أسلوب

هذا الخط إلى حد كبير الطابع الأندلسي في الكتابة أما الخط الكوفي فقد أستعمل على نطاق واسع في بحور و أشرطة من النقوش في أماكن مختلفة من المسجد، و قد زينت الأشرطة الكوفية بالزخارف النباتية مما زاد في عرضها، و نلاحظ ذالك في أشرطة واجهة المحراب و على الجدران الجانبية للباب الرئيسي ويتميز الخط الكوفي في هذه الأشرطة باستقامة حروفه والإرتفاع الهائل في حرفي الألف و اللام بحيث يصل إلى 0,27م و تنتهي هذه الأحرف في الأعلى بورقة نباتية مقتبسة من الطبيعة نتجت عن إتحاد مروحتي النخيل المنتشرة في أعلى الشريط و بين الحروف فتملأ الفراغات بأسلوب يجعلها تطغى على الزخارف الخطية فتجعل الشريط الكتابي غير واضح و تمثل هذه الزخرفة التي يمكن تسميتها بالخط الكوفي المورق صورة من أروع الزخارف الخطية التي إحتفظ بها مسجد سيدي أبي مدين من عصر المرنيين.[1]

مكونات الزخرفة في المسجد:

لقد اختلفت طرق الزخرفة و أساليبها باختلاف المواضيع الفنية و المواد المستخدمة في بناء وزخرفة المساجد خاصة بتلمسان و يرتبط الإخراج الفني بقدرات الفنان وإمكانياته من جهة وبطبيعة المادة من حيث صلابتها و طواعيتها من جهة أخرى، وتعد تقنية الحفر أهم و أقدم هاته التقنيات، وقد استعملت استعمالا واسعا في تشكيل الزخارف و يتم ذالك على المواد الصلبة واللينة كالزخرفة على الحجر و الرخام و الخشب والجص و المعادن الطينية الخزفية.

[1]- د مبارك بوطارن المرجع السابق، ص210.

و تتنوع تقنية الحفر على هذه المواد من حفر مائل و مسطح أو بارز و هناك تقنيات أخرى مستعملة في زخرفة الخشب كالتخريم، و التجميع و التطعيم أو الترصيع غير أن هاته التقنيات تتطلب وسائل عمل مختلفة خشبية أو معدنية كالمطارق و الآلات الحديدية المذيبة و الحادة و ما إلى ذالك.[1]

و من بين مواد الزخرفة نجد الجص الجيد النقي الذي يتميز بالطواعية و سرعة الجفاف وإذا كانت الطواعية تسهل عمل الفنان فإن سرعة الجفاف تصعب من مهمته مهما كانت مقدرته قوية، و إمكانياته التقنية كبيرة، ذالك أن سرعة جفاف الجص تفوق سرعة التنفيذ لديه، و هو ما يتطلب منه إضافة مواد أخرى للجص كالغراء أو الملح لجعله بطئ الجفاف ومطواعا لتسهل عملية الحفر, فالزخرفة الجصية هي ظاهرة قديمة، حيث لجأ فيها الفنان إلى طلاء أرضيات الزخارف و خطوطها التحديدية على مواد متعددة كالرخام و الخشب والمعادن ولم تكن الزخارف المحفورة على الخشب بأقل أهمية من زخارف المواد الأخرى فصحيح أنه لم تصل إلينا نماذج كثيرة منها في تلمسان مقارنة بالعدد الكبير من أمثلتها في مدن المغرب الأقصى و لكن ما وصل منها إلينا كونه دليلا على مدى التقدم الذي أحرزه الفنان التلمساني في ميدان النجارة و تقنيات و أساليب الزخرفة الخشبية.

و المعروف أن فن الحفر على الخشب يمر بمرحلتين مثل المواد الأخرى فمرحلة صناعة النجارة مثلما ذكر ابن خلدون وهو إعدادها لجميع الاستخدامات، ثم مرحلة الزخرفة و الفن من

1- د محمد عبد العزيز مرزوق الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب و الأندلس ص 80-81

حفر و للزخارف و تجميع لها أو ترصيع و تطعيم لعناصرها أما طريقة الحفر الخشبية فهي نفس الطريقة المستعملة في تشكيل الزخارف على الجص والحجر مع الاختلاف في الوسائل لاختلاف طبيعة المواد و خصائصها .

وهناك تقنية أخرى استعملت في زخرفة مدرسة سيدي أبي مدين تقوم على الجمع بين التطعيم والترصيع، وهي طريقة مرتبطة بتقنية التجميع و يلجأ فيها الفنان إلى لصق أو تطبيق مواد و خامات مخالفة للخامة الأصلية، و عادة ما تكون خامات التطعيم والترصيع ذات لون مخالف للون الخامة الأصلية و قيمتها أثمن منها، كتطعيم أو ترصيع الخشب بالعاج و الصدف والعظام و الأخشاب الثمينة و ذالك بغرض تزيين التحف والصناديق و أدوات الزينة و الأثاث المنزلي و أثاث المساجد والمدارس و الأضرحة و أبوابها وقبابها و تتم العملية برسم العناصر على المساحات المراد زخرفتها بهذه المواد رسما تخطيطيا خفيفا وحفر أرضيتها حفرا مناسبا، ثم حشو الأرضية المحفورة بعناصر التطعيم المعدة لذالك،

والضغط عليها لتلزم مكانها، أو تلصق خامات التطعيم على العناصر الزخرفية بحسب أشكالها و ذالك باستخدام الغراء .

وقد استعملت الطريقتان معا في تزيين قبة مسجد سيدي أبي مدين، و مادة التطعيم الأساسية فيها العاج و مواد خشبية أخرى, و قد استعملت هذه المواد في الطبق النجمي الكبير الذي يرصع القبة و حناياها و قد أستعمل على هيئة أشرطة و إطارات و قضبان رصعت بالنجوم و الدوائر.

و تعد طريقة التطعيم، طريقة قديمة مارستها بعض الشعوب قبل الإسلام و أقبلت عليها الشعوب الشرقية إقبالا شديدا، و منها انتقلت إلى المسلمين منذ الفترة المبكرة من العصر الأموي وقد ورث المرينيون هذه التقنية عن الموحدين و الأندلسيين و أدخلوها في كثير من أعمالهم الفنية خاصة في المساجد و المدارس و أهمها المدرسة المصباحية و البوعنانية في فاس و مدرسة سيدي أبي مدين في تلمسان.

و يوجد نموذج من النماذج المعدنية في الأعمال الفنية المرينية بتلمسان و الذي أستخدمت فيه طرق زخرفية متنوعة و التي نجدها في الباب الرئيسي لجامع سيدي أبي مدين، لكونه نموذج متميز يبين عظمة الفن بصفة عامة و فن الزخرفة على المعادن بصفة خاصة، غير أن هذا النموذج له مثيل مشابه في المدرسة البوعنانية بفاس فكلاهما كسيت أبوابه الرئيسية بالبرونزر (الشكل 11) .

كما أستعملت طريقة التخريم و التي تقوم على تحديد الموضوع و العناصر المراد تخريمها على صفحات المعدن بنموذج ورقي أو غيره، ثم إحداث الثقوب و التفريغات المرادة عن طريق المثاقب وأدوات القطع و التفريغ.[1]

ولقد أستخدمت هذه الطرق في الإخراج الفني لزخارف الباب الرئيسي لجامع سيدي أبي مدين، فكان الفنانون المغاربة يستخدمون في ذالك النماذج الزخرفية المرسومة على الورق

[1] – د محمد عبد العزيز .نفس المصدر السابق ص 97.

المقوى و خاصة بالنسبة للزخارف المعقدة، كالأطباق النجمية وهو الموضوع الذي يسود باب سيدي أبي مدين المذكور آنفا .

و بالتالي فإن التكامل بين الفن و العمارة في المساجد في تلمسان يجعل الفحص الأثري صعبا في التمييز بين حدود ماهو معماري خالص و ما هو فني خالص، فمن حيث النظام الزخرفي وطبيعته و شكله فقد إتخذت الزخارف أماكن مختلفة و متنوعة من المسطحات المقعرة و المحدبة والبارزة و الملساء و الأفقية و العمودية، و ذالك على شكل لوحات وحواش و أشرطة و أفاريز وإطارات و حليات مختلفة الشكل و الحجم و هذا ما أكسب التنظيم الزخرفي في المساجد بجمال الأشكال و ذالك من تواترها وامتدادها عبرالمسطحات المنظمة تنظيما متدرجا بين المسطحات الواسعة و الأقل اتساعا أو المحصورة ضمن إطارات هندسية متوسطة أو صغيرة .

و قد شكلت بعض العناصر المعمارية كالتيجان و العقود أهمية خاصة لدى الفنان، فطبعها بزخارف متنوعة و هو نفس الاهتمام الذي أعطاه لبعض أسقف المباني المساجد الخشبية أو الجصية كما هو الحال في مسجد سيدي أبي مدين.[1]

[1] – د عبد العزيز لعرج جمالية الفن الإسلامي في المنشآت المرينية بتلمسان ص 124-125.

الفصل الرابع :

مئذنة مسجد سيدي أبي مدين

تعريف المئذنة :

المئذنة كلمة مشتقة من الفعل أذن و أذن بالشئ إذنا و أذنه في القرآن "...فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله و رسوله" [1]أي كونوا في علم, و آذنه بالأمر :أي أعلمه.

و أذنت : أكثرت الإعلام بالشيء قال تعالى :" و أذان من الله و رسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر "[2].أي إعلام.

و الأذان و الأذين و الـــتأذن :النداء إلى الصلاة.

و المؤذن هو في الناس القصير العنق الضيق المنكبين .

ووجه التسمية أن المئذنة هي اسم للمكان الذي يعتليه الرجل القصير ليظهر لغيره,فهي وسيلة للظهور و التجلي.

و المئذنة موضع الأذان للصلاة ، و قال اللحياني :هي المنارة و تعني الصومعة واصطلاح المئذنة اصطلاح إسلامي مشتق من الفعل أذن و هو النداء للصلاة و لم يظهر هذا المصطلح إلا بعد الفتح الإسلامي لبلاد الشام و مصر و بداية بناء أولى المؤذن في العالم الإسلامي في كل من دمشق و مصر.[3]

---

[1]- سورة البقرة الآية 279

[2]- سورة التوبة الآية 03.

[3]- طرشاوي بالحاج ,المآذن الزيانية و المرينية في تلمسان ,مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير تلمسان 2002ص37.

مئذنة مسجد سيدي بومدين

تقع في الركن الشمالي الغربي على محور الرواق الغربي للصحن(الشكل12) وهي تشبه المآذن الزيانية، سواء كان من حيث الموقع أو من حيث الشكل(الشكل13) و(الشكل14) ، إذ أنها تتكون من قسمين رئيسيين مربعي الشكل (الشكل 15) هما البرج المربع الكبير والطابق العلوي الصغير ويبلغ إرتفاع المئذنة 27.50م (الشكل 16)أما عرض كل واجهاتها الأربعة فيقدر بــ4.40م ويصعد إلى سطح المئذنة عبر درج داخلي يحيط بنواة مركزية مربعة الشكل يبلغ عرض كل من أضلاعها الأربعة 1.70م ويسقف هذا الدرج بقبوات متقاطعة منحدرة مع إنحدار السلم ويتوج هذا البرج برج صغير مربع الشكل يبلغ إرتفاعه 5.40م وعرض كل من جوانبه الأربعة 1.90م ويزدان البرج الرئيسي بشبكة من الزخارف مقسمة بواسطة إفريزين من الآجر إلى ثلاث قطاعات: ويمثل معظم مساحة البرح وتحليه شبكة من الزخارف على شكل معينات متقاطعة تشبه زخارف المآذن الزيانية بالمغرب الأوسط،وكذلك زخارف المآذن المرينية بالمغرب الأقصى.[1]

أما القطاع الثاني: فيتمثل في شريط من زخارف البلاطات الخزفية، محدد من الأسفل ومن الأعلى بالأفريزين سالفي الذكر وزخارف هذا القطاع لا تعد سلسلة من الأشكال الهندسية الدائرية على شكل أطباق نجمية بالواجهات الأربعة للبرج بمعدل ثلاثة أطباق في

[1]– السيد عبد العزيز سالم: حول أمثلة من الابتكارات في المسجد الجامع بقرطبة مقال بمجلة المنهل، العدد 54 السنة 53، المجلد 48-1987، ص310-314.

كل واجهة أما القطاع الثالث فتمثله الشرفات المثلثة والمسننة في آن واحد وتزداد كل شرفة منها بزخارف هندسية من المثلثات والأطباق النجمية مرسومة على البلاطات الزخرفية.

أما جوسق المئذنة الموجود في الطابق العلوي فتشغل كل واجهة من واجهاته الأربعة حلية تزينها شبكة من المعينات المتقاطعة على طراز زخارف القطاع الأدنى في البرج الرئيسي، وأما المساحات المتبقية فتكسوها البلاطات الخزفية التي رسمت عليها زخارف شبيهة بزخارف القطاع الثاني من البرج وقد روعي في تنفيذها صغر حجمها حتى تتلاءم ومساحات جوسق المئذنة.[1]

المبحث الاول :الوصف المعماري

سنتطرق في هذا العنصر للحديث عن أهم الأجزاء التي تتكون منها المئذنة وفي بادئ الأمر سنتحدث عن وصف خارجي لها، ثم بعد ذلك سنلج إلى داخلها واصفين أهم ما تكونت منه، كما سنذكر أهم المقاسات التي إجتهدنا في قياسها، فهدفنا من هذا هو مجرد إستلفات ذهن القارئ العادي إلى هذه العناصر، وتمكينه من تذوقها وتبيين نواحي الإمتياز الفني والجمالي فيها.

الوصف الخارجي:

تقع مئذنة العباد العلوي في الركن الشمالي الغربي على إمتداد البلاطة الأخيرة من المسجد،(أنظر الشكل 12) كما هو الحال في مئذنة سيدي إبراهيم وتتكون المئذنة من قسمين

[1] – الدكتور مبارك بوطارن: العمائر الدينية في المغرب الأوسط 2001، ص210-211. 1988م، ص204.

رئيسيين قسم سفلي وعلوي، الأول هو البرج الرئيسي والثاني هو الجوسق* ، كما يعلو هذا الأخير جامور** به ثلاثة تفاتيح تبدو من البرونز، كما نلاحظ انعدام تلك القبيبة وكذلك الصاري*** والفانوس ، أما عن إرتفاع المئذنة فيقدر بحوالي 27.50 سم، وعرض كل من واجهاتها الأربعة 4.40سم.

الوصف الداخلي:

للمئذنة باب خشبي يسمح بدخول المؤذن يعلوه قوس نصف دائري يفتح على جهة اليسار يقدر عرضه بـــ 70 سم ، عند الدخول يقابلك مباشرة سلم عدد درجاته ست درجات يحيط بالنواة المركزية، يبلغ عرض كل من أضلاعه 1.70سم ، لكن السلم الأخير عدد درجاته 08، ومجموع الدرجات الكلي يقدر بـــ 86 درجة.[2]

يعلو هذه السلالم قبو متقاطع في كل جهة منحدرة للسلم، مع وجود فراغ على شكل غرفة مستطيلة تبدو كغرفة تخزين أو ما شابه، تشبه الغرفة السفلية عند مدخل المئذنة في الجهة اليسرى ، وكلما إرتفعنا عن القاعدة حوالي ثلث المسافة تتوزع على جدار المئذنة كوات صغيرة تسمح بمرور الضوء، منها ما كان على شكل مزاغل، ومنها ما كان على شكل حذوة الفرس.

*- الجوسق: وهي غرفة المؤذن.

**- الجامور: وهو عبارة عن سفود.

***- الصاري: جمعها صوار، وصاري السفينة عن الخشبة المعترضة في وسطها، وفي حديث ابن الزبير وبناء البيت: فأمر بصوار فنصبت حول الكعبة، والصاري هو دقل السفينة الذي ينصب في وسطها قائما ويكون عليه الشراع.[1]

[2] – د,مبارك بوطارن، المصدر السابق ص216.

يتوج هذا البرج الرئيسي ببرج صغير مربع الشكل وهو غرفة المؤذن، نخرج إليه من باب معقود مشرع ينفتح مباشرة بالجدران المحيطة بالجوسق ، الذي يزدان بشرفات مسننة * ذات خمسة درجات يبلغ كل إرتفاع واحد منها 0.51 سم، مرتكزة على جدار سمكه 0.30سم، والمجموع كان عشرون ضرفة.

يوجد بداخل الجوسق غرفة صغيرة للمؤذن، ندخل إليها من باب نصعد إليه بدرجة واحدة، وهو معقود بعقد مدبدب ، تتوزع ثلاث كوات على جدران غرفة المؤذن لعلها كانت مصدرا للصوت أو مرور الضوء.

مما جلب الأنظار هو وجود مكان مرتفع حوالي 20 سم، وذلك في الجهة الشمالية الشرقية، لعلها كانت مكان ارتقاء أو وطأ المؤذن إسماع الناس، وهذا حسب تقديري.

المبحث الثاني :الوصف الزخرفي

تكسو الواجهات الأربعة لمئذنة العباد مجموعة من الأشكال الزخرفية، بالإضافة إلى الشرفات والتي سنذكرها في ما يلي، كما سنتحدث عن أهم الزخارف التي كست غرفة المؤذن، مدعمين وصفنا بصور.

البرج الرئيسي (بدن المئذنة):

لاحظنا من خلال المعاينة الميدانية أن الزخارف تكسو الواجهات الأربعة للمئذنة،(أنظر الشكل12) ذات الأرضية المفروشة بشبكة المعينات، الجزء العلوي منها على هيئة العقود ذو

---

*- الشرافة: هي الوحدة الزخرفية التي تتوج المبنى وتكون مدرجة أو نباتية الشكل، وتبنى من الطوب أو الحجر.

1- رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الأثرية ص 120.

شرفة من رأسين، كما في الواجهة الجنوبية والشمالية ، على خلاف الجهة الشرقية والغربية، تتألف عقودها من رأس واحد فقط[1] ، هذا ا بالنسبة للجزء العلوي، أما الجزء السفلي لكل من الواجهتين الشمالية والجنوبية، نرى أن الزخارف جصية على شكل زهرة ثلاثية الفصوص.

أما الحشوة الواقعة في الواجهة الشرقية من المئذنة، مقسمة إلى ثلاث حشوات مستطيلة عمودية، الوسطى منها مزينة في الجزء العلوي بنافذة منحوتة ضمن إطار مستطيل، والمساحة الباقية تشغلها شبكة المعينات، التي تزخرف بدورها الحشوات الجانبية في أعلاها، كما نلاحظ أن الفتحات قد نحتت داخل المعينات المتشابكة، وهي موزعة على الشكل التالي: فتحتين، الواحدة فوق الأخرى في الجزء الشمالي من الواجهة الغربية، والأخرى في الجانب اليسر من الواجهة الجنوبية.

أما الحشوة الواقعة أعلى شبكات المعينات، فهي مزينة بزهرات كبيرة من الفسيفساء الخزفية ، على خلاف الحشوة الواقعة أسفل المعينات المتشابكة، نجدها في الواجهة الشمالية والغربية، تزينها حاشية مستديرة مركبة من عقد منكسر، وآخر ذو ثلاث فصوص، وهناك عقد حذو ة الفرس الذي يتناوب مع فصين منكسرين، وهذا الشريط الذي يزين شبكة المعينات في الجزء العلوي، على هيئة عقد ذي شرفة من رأس واحد السابق الذكر.[2]

في الجهة الجنوبية نجد عقد ذي فصوص داخل (بطن) العقد المتجاوز، الذي يتناوب بدوره مع فص منكسر، وتحت هذا الإفريز المستدير حلت محله حشوة مربعة، مزينة بنقش

---

[1] -إيشو عبد الحق، مئذنة العباد العلوي دراسة أثرية,(شهادة الليسانس) ص 31.

[2] -يحي بوعزيز, المساجد العتيقة في الغرب الجزائري ص 108.

كتابي مكتوبة بخط كوفي مربع الزوايا، بينما زخارف الواجهة الغربية، قوامها ثقوب، يتخللها عقد مفصص يتناوب مع عقد حذوة الفرس المتجاوز والمنكسر وتأطيره على شكل مستطيل من عقد متكون من إحدى عشرة فصا، في وسطه فتحة على هيئة عقد منكسر.[1]

الشرفات:

تعد الشرفات من العناصر المعمارية التي تزين المئذنة، فهي التي تتوج سطح المئذنة، شاع استخدامها في العهد الزياني ثم استمرت في العهد المريني.

يعلو سطح المئذنة جدار صغير مزين بزخارف هندسية على شكل أطباق نجمية، هذا الأخير يعلوه شرفات مدرجة (مسننة)، أربعة من كل ضلع من أضلاع الجدار، باستثناء الشرفة الخامسة الواقعة في زاوية كل جدار، منقسمة إلى قسمين، أي كل نصف منها يأخذه كل ضلع من أضلاع المئذنة، كما زينت هذه الشرفات بزخرفة من الفسيفساء الخزفية، المتكونة من مثلث داخله زهرة محاطة بأشكال هندسية سداسية.

الجوسق: (غرفة المؤذن)

يزدان الجوسق في واجهاته الأربعة، بشبكات من المعينات المرتكزة على عقد ذي شرفة من رأس واحد، ويكسو هذه الفراغات زخارف نباتية من الفسيفساء الخزفية الملونة، ذات اللون الأسود والأبيض والأخضر، قوام الزخارف التي تزدان بها الواجهات الأربعة

1- يحي بوعزيز، نفس المصدر السابق ص 115.

للجوسق، أنها توريقات تتفرع من فروع متداخلة (متشابكة)، ذات اللون الأسود على أرضية بيضاء.[1]

يحيط بهذه الزخارف شريط عريض من الزخارف الهندسية المتباينة الألوان، وحافة هذا الشريط أشكال متعرجة من الفسيفساء الخزفية، التي تليها مستطيلات خضراء بها حاشية ضيقة تحلى خطوط مستقيمة متضافرة.

كما يعلو الجوسق جامور به ثلاثة تفاتيح، كما ذكرنا في السابق، في هذا الصدد بشير "جورج مارسي" أن التفاحة مذهبة يبلغ محيطها 1.50م.

مواد البناء:

بالنسبة لمواد البناء، لقد شاع البناء بالحجر والآجر والخشب في بناء هذه المئذنة، وكل هذا للتقوية والدعم(الشكل 17).

وبالتالي فالمئذنة بشكلها المعماري المميز، لم يكن معروفا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان المسلمون يعلنون على الصلاة من أعلى مكان في المسجد، يرفع المؤذن صوته للإعلان عن الصلاة، فكانت المساجد الأولى خالية من هذا العنصر المعماري مثل المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة، وظهرت المآذن الأولى في العصر الأموي بالجامع الأموي بدمشق حيث استعملت أبراج المعبد القديم لتصبح أول طراز معماري تعرفه العمارة الإسلامية، ومع مرور الزمن شهدت المئذنة تطورا في شكلها المعماري انطلاقا من

[1] – إبن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن، الجزائر 1981 ص9

عوامل عديدة، منها مناخية وسياسية وعسكرية، وحتى في مواد البناء، فالمئذنة أعطت للمسجد طابعا مميزا يختلف من عصر لآخر.

إن المآذن المشيدة عبر تراثنا الوطني تختلف في أشكالها وتخطيطها الداخلي والخارجي وموقعها في الجامع من منطقة إلى أخرى ومن فترة إلى أخرى، فنجد في الغرب الجزائري على وجه الخصوص طراز في المئذنة المربعة التي يرجع شكلها إلى مئذنة جامع القيروان، أولى مآذن المغرب الإسلامي.[1]

إن مآذن تلمسان سواء كانت زيانية أو مرينية، لا تختلف اختلافا كثيرا بل تكاد تكون وحدة متكررة، وهي تتكون من برج رئيسي مربع الأضلاع، مزين غالبا بثلاث حشوات، بعضها فوق بعض تحتوي الحشوة الأولى (السفلى) على عقد أو عقدين، وفوق هذه الحشوة نجد حشوة الشبكات المعينة .

تشهد المئذنة المرينية ابتكارا من حيث تزيين الجوسق، فمئذنة العباد العلوي فريدة من نوعها من حيث تزيين الجوسق فهي مزينة بزهيرات من الفسيفساء الخزفية، وهذا ما ميزها عن باقي المآذن، فامتازت بالأناقة والجمال وهي المئذنة الوحيدة في الغرب الجزائري المتوجة بهذا النوع من الزخرفة.

تعكس عبارة المئذنة تشبع المعمار ي المسلم بروح العقيدة الإسلامية، فالمئذنة بنيت لأداء وظيفة دينية أي الدعوة إلى الصلاة، ومراقبة هلال رمضان أحيانا، وزيادة على هذه

---

[1] – إبن مرزوق التلمساني، المصدر السابق ص 19.

الوظيفة، تكتسب المئذنة دلالة حضارية فهي ترمز إلى عنصر التوحيد، الذي يملأ وجدان المسلم.

ويدل بناء المئذنة على إلمام المعماري المسلم بقواعد سيكولوجية، فنجده يقسم المئذنة إلى عدة طوابق متتابعة يريح المشاهد نظره عند كل طبقة منها، فلا يشعر بالدوران أو السآمة أو الملل، واعتمد الفنان على قواعد موضوعية في علم النفس الجمالي فيشعر كل من رأى المئذنة لجمال عمارتها، وجمال زخرفتها، ولو لم يكن مسلما وابتعد كل الابتعاد عن المعايير الشخصية والذاتية.[1]

[1] – أبي عبيد الله محمد بن محمد، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان الجزائر ص50.51.

الخاتمة

لم تسل أي مدينة إسلامية جزائرية من المداد ما أسالته مدينة تلمسان، فقد حظي تاريخها ونقوشها و آثارها باهتمام كثير من طرف الباحثين و الدارسين و لقد توفرت مساجد تلمسان على ثروة فنية زخرفية تنوعت استخداماتها، و اختلفت موادها و تباينت مواضيعها و عناصرها، ولكنها في كل الأحوال استبعدت مواضيع الكائنات الحية و تمثل تلك الزخارف، و خاصة زخارف جامع سيدي أبي مدين قفزة نوعية في عالم الزخرفة الإسلامية المغربية الأندلسية بصفة عامة، و الزخرفة المرينية بصفة خاصة و ذالك لما حوته من مواضيع و عناصر زخرفية وأساليب فنية و طرق معالجة متطورة و محكمة جامعة بين التقاليد المحلية و التأثيرات الأندلسية والمشرقية و تتمثل التقاليد المحلية في التأثر بالتقاليد الفنية المرابطية و الموحدية و التي تعود أصولها إلى أوائل تشكل الفن الإسلامي في المشرق و المغرب بعد الفتح.

و مهما يكن من أمر، فإن التنظيم الهندسي عزيز عند الفنانين التلمسانين، فأسلوب الملء والتعبئة الذي يمثل تشابها كبيرا مع الزخارف الجصية، وكذا الملائمة مع بقية المبنى و بالتالي فهذا يشير إلى أنه إن لم يتم إنجاز هذا العمل في عين المكان فلا بد على الأقل أن يكون قد صنع وفق خريطة أو نموذج فني دقيق و ضعه المزخرف المغربي

و قد حظيت تلمسان بعدد لا بأس به من المساجد القديمة التي تعطي مسحة إسلامية أصيلة لهذه المدينة التاريخية العتيدة، و الجميلة و من ضمنها مسجد سيد ي أبي مدين الذي إستقطب أ جيالا من العلماء و الفقهاء و طلبة العلم و بالتالي فهو بحاجة ماسة إلى العناية و الترميم والمحافظة عليه لأنه إحدى المعالم الحضارية الكبرى لا لتلمسان وحدها و إنما لكل الجزائر

وبلدان المغرب الأخرى بل و للعالم أجمع في إطار الحضارة الإنسانية مادامت منظمة اليونيسكو اعتبرته منطقة حضارية و سجلته ضمن المناطق الأثرية التي تهتم بها و توليها الرعاية المطلوبة.

فهو يتعرض اليوم لمحنة السقوط و كارثة الزوال بفعل المياه التي تتسرب إليه من أعلى المساكن الفوضوية التي بنيت أعلاه شرقا في سفح الجبل .

فمسجد سيدي أبي مدين الذي أسس على تقوى من الله و رضوان منذ أكثر من 6 قرون ونصف القرن فقد أدى رسالته الدينية و الحضارية على أكمل وجه و شارك في حركة التنوير الواسعة التي شهدتها تلمسان و الجزائر في عدة قرون و قد كان إحدى القلع الحصينة للثقافة والتعليم و التأليف و الوعظ و الإرشاد الديني و الاجتماعي، و صمد لكل عوامل الزمن، وقاوم الضغط الاستعماري وواصل أداء رسالته الدينية بكل حزم ونشاط، و أبدت الإطارات الدينية فيه نشاطا دؤوبا على مدار التاريخ خاصة في الفترة الفرنسية الاستعمارية التي حاول فيها المستعمر طمس وجه الجزائر الإسلامية و تحقيق سياسة الفرنسة و التنصير و الإدماج و التي فشل فيها منذ الوهلة الأولى.

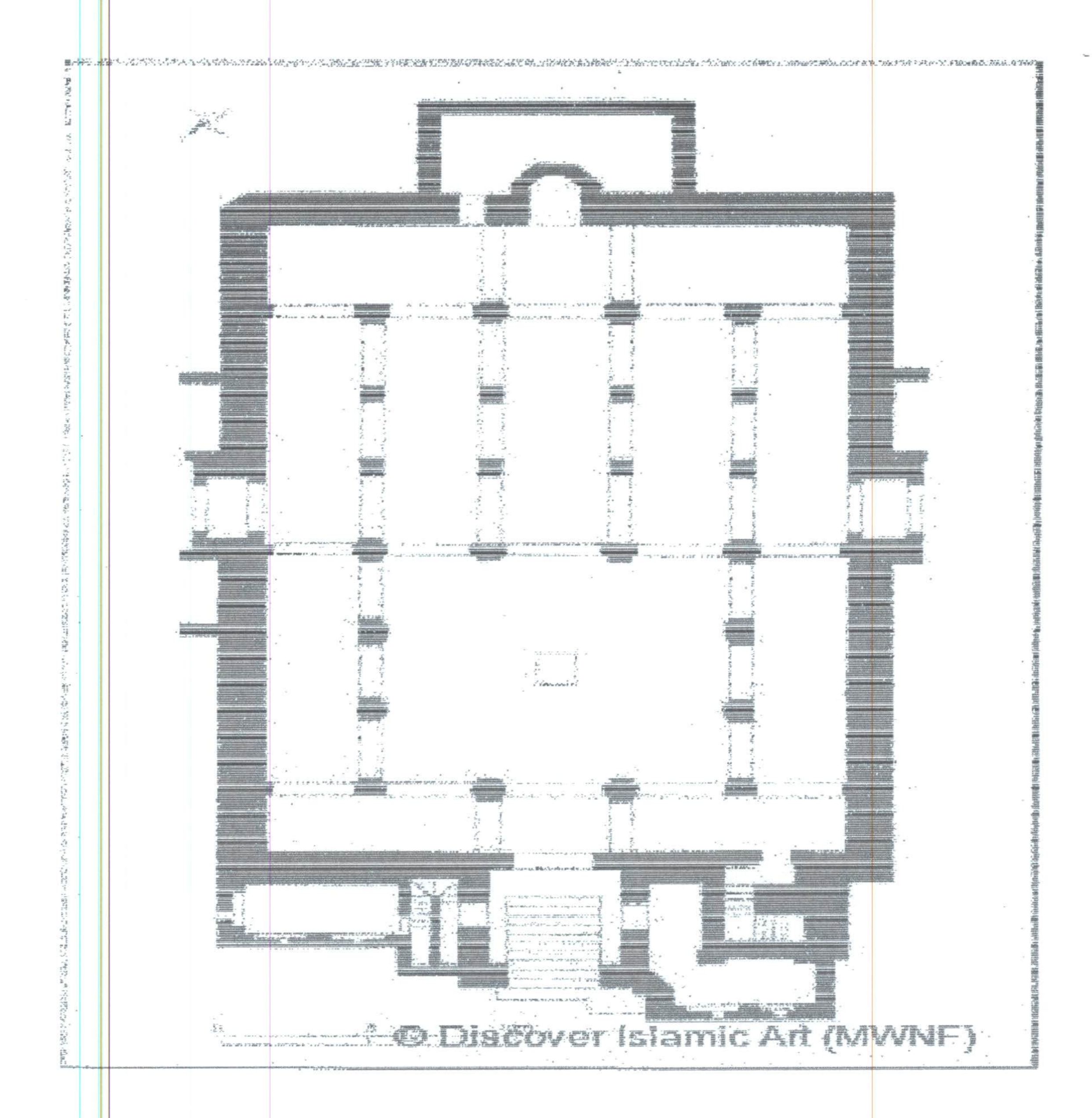
وبالتالي فالمسجد هو الذي يعطي لمدينة تلمسان أصالتها الإسلامية و يضفي عليها الروعة والجلال، و يكسبها مسحة إسلامية فائقة الروعة تمتد جذورها إلى أعماق التاريخ ، و يذكر الناس والأجيال الصاعدة بماضيها العريق المشرق و الأصيل فهو يستهل منا الإسراع بنجدته و ترميمه وإصلاحه من العيوب التي ظهرت عليه مؤخرا ليواصل رسالته كبيت من بيوت الله أذن الله أن ترفع ويذكر فيها إسمه، و تعمر بالمسلمين المؤمنين المتعبدين الصالحين.

و بناء على ما تقدم أرجو أن يكون لما قدمته في هذا البحث من عمل فائدة عامة و خدمة لطالب العلم، كما أرجو أن أكون قد أحسنت في عرض الأفكار و تناولها و تحليلها بالرغم من إحساسي أني قد بذلت جهدا في هذه الدراسة إلا أني على يقين أنه جهد لم يصل إلى الكمال إذ طلب الكمال في عمل الإنسان محال.

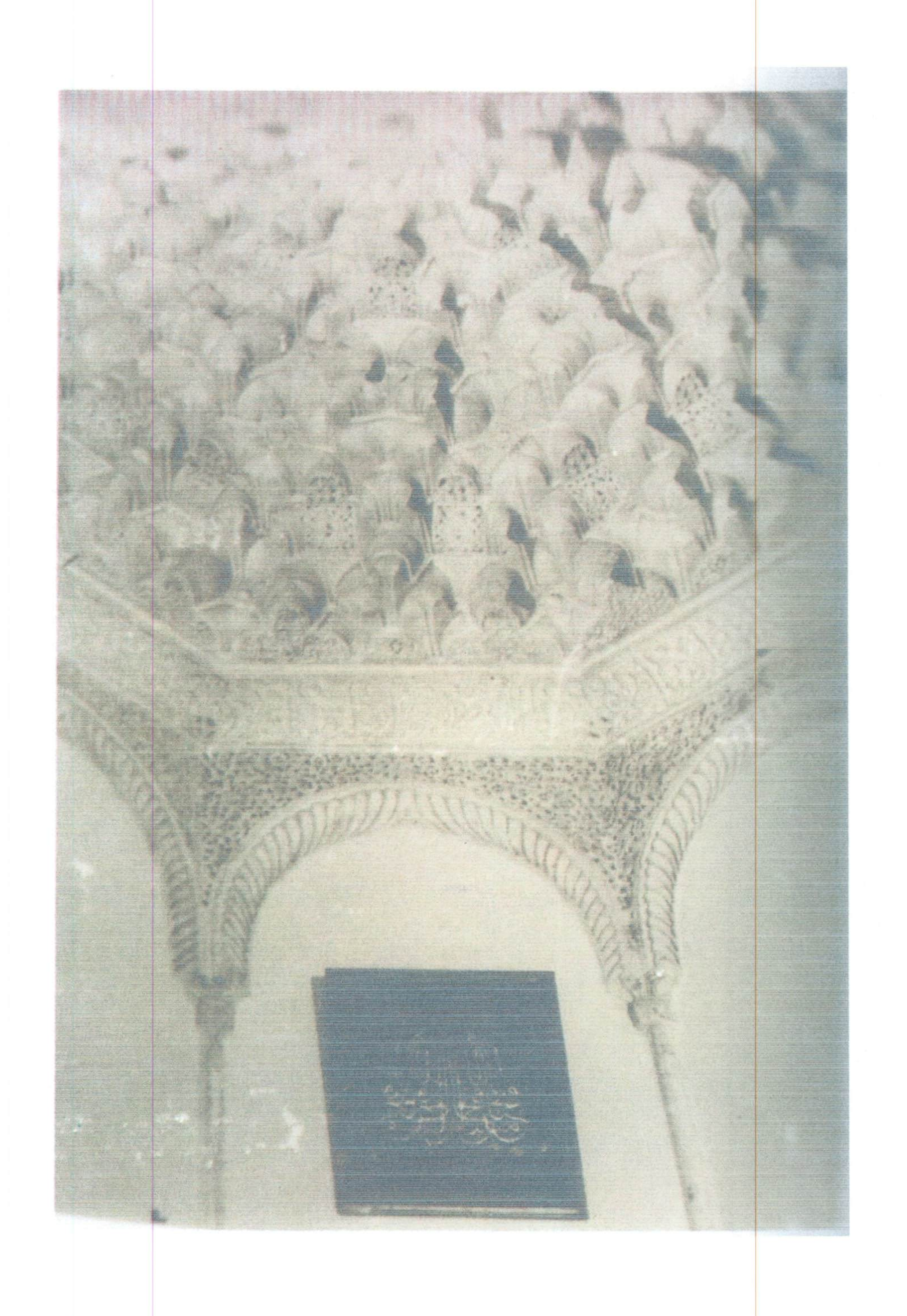
ملحق الأشكال



الشكل1:ضريح سيدي أبي مدين مدخله و جزء من صحنه.



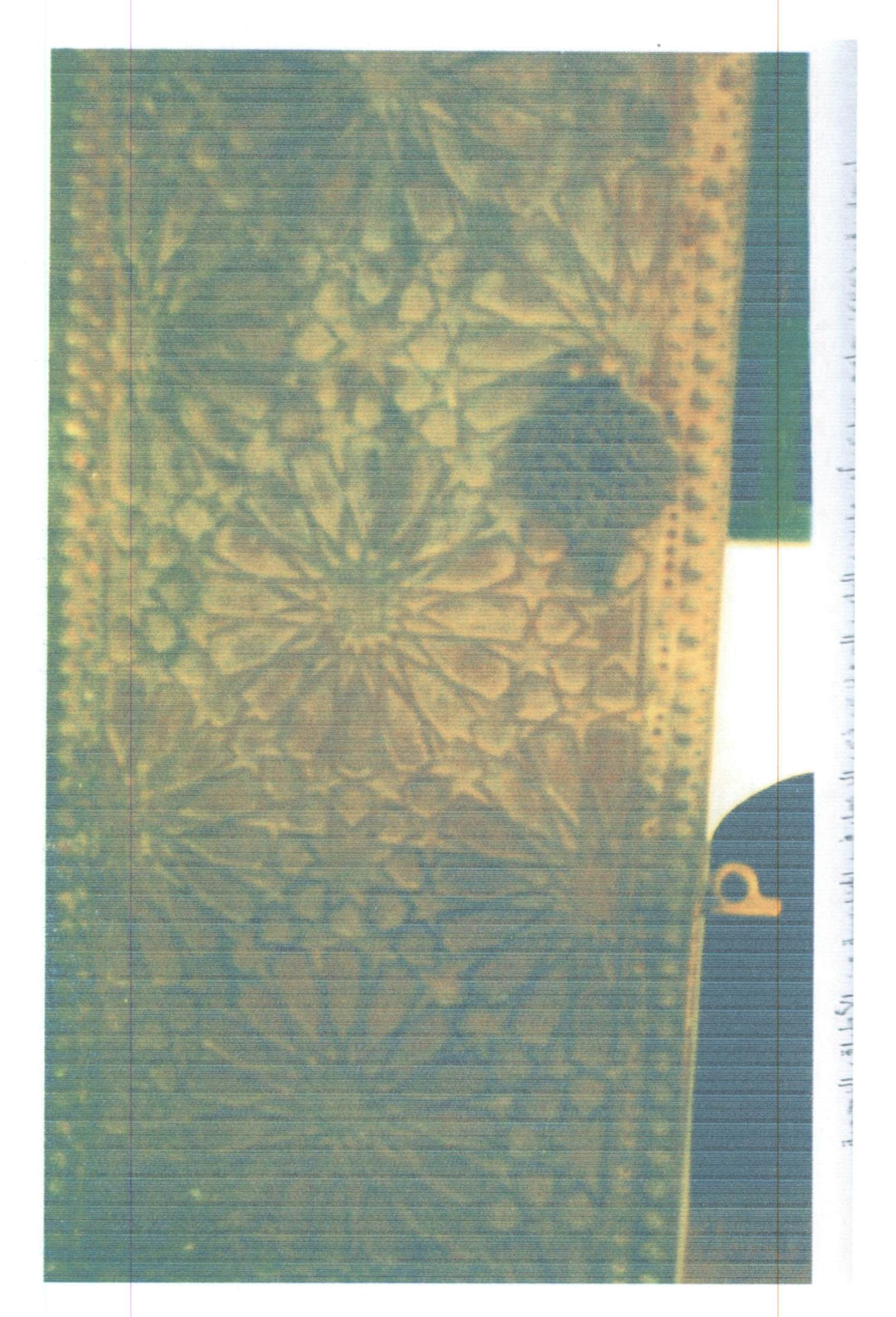
الشكل2: مخطط يوضح مسجد سيدي أبي مدين



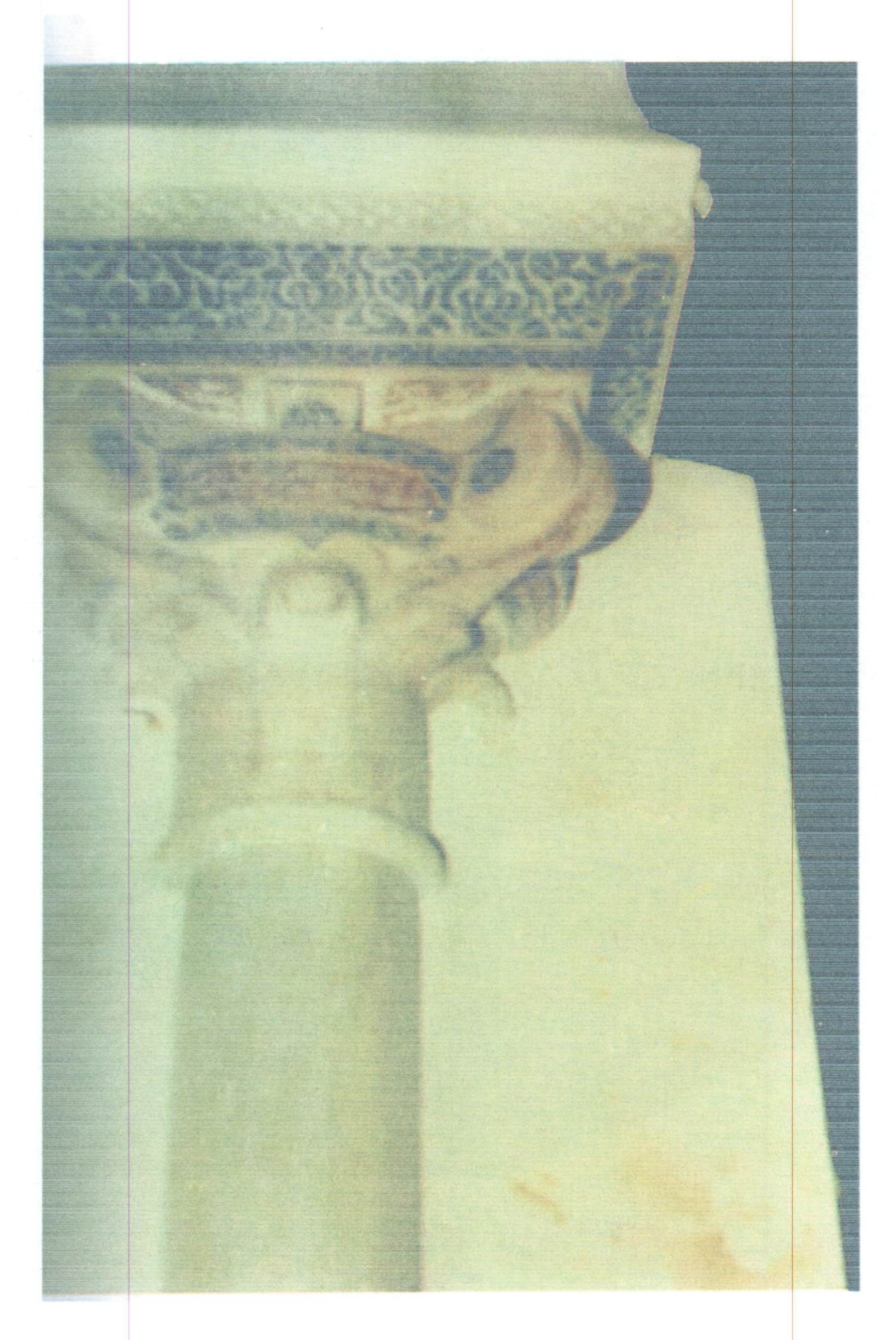
الشكل رقم3:قبيبة المحراب المقرنسة



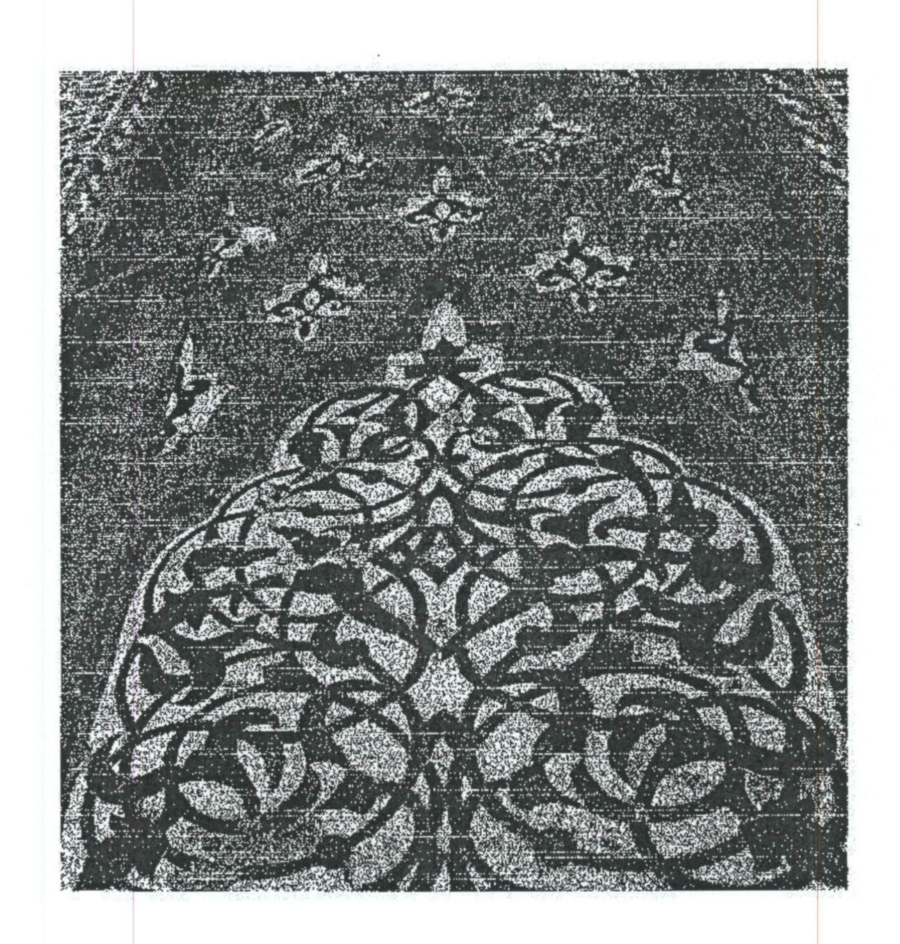
الشكل رقم4:مدخل المسجد المتكون من إحدى عشر درجة كما هو موضح في الصورة.



الشكل5: الزخارف الموجودة في أحد أبواب المسجد (زخارف هندسية و أطباق نجمية).



شكل رقم6: توضح تاج عمود المحراب (الأيسر) لجامع سيدي أبي مدين

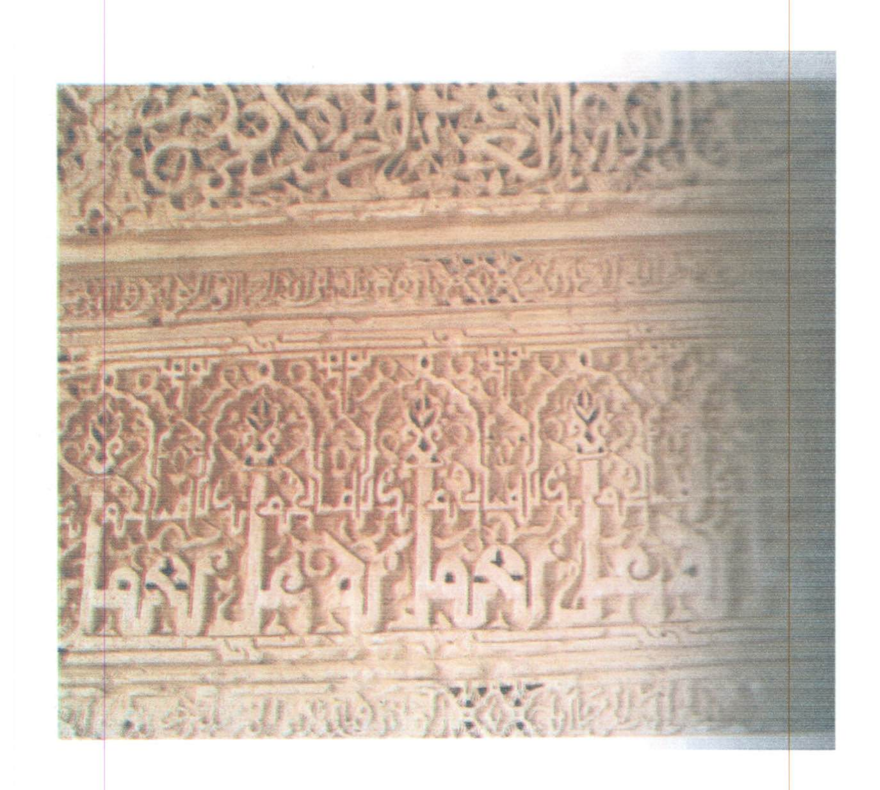


الشكل رقم8:الشكل يبين أحد الزخارف ذات الفروع النباتية

والتي تشكل حلقات دائرية



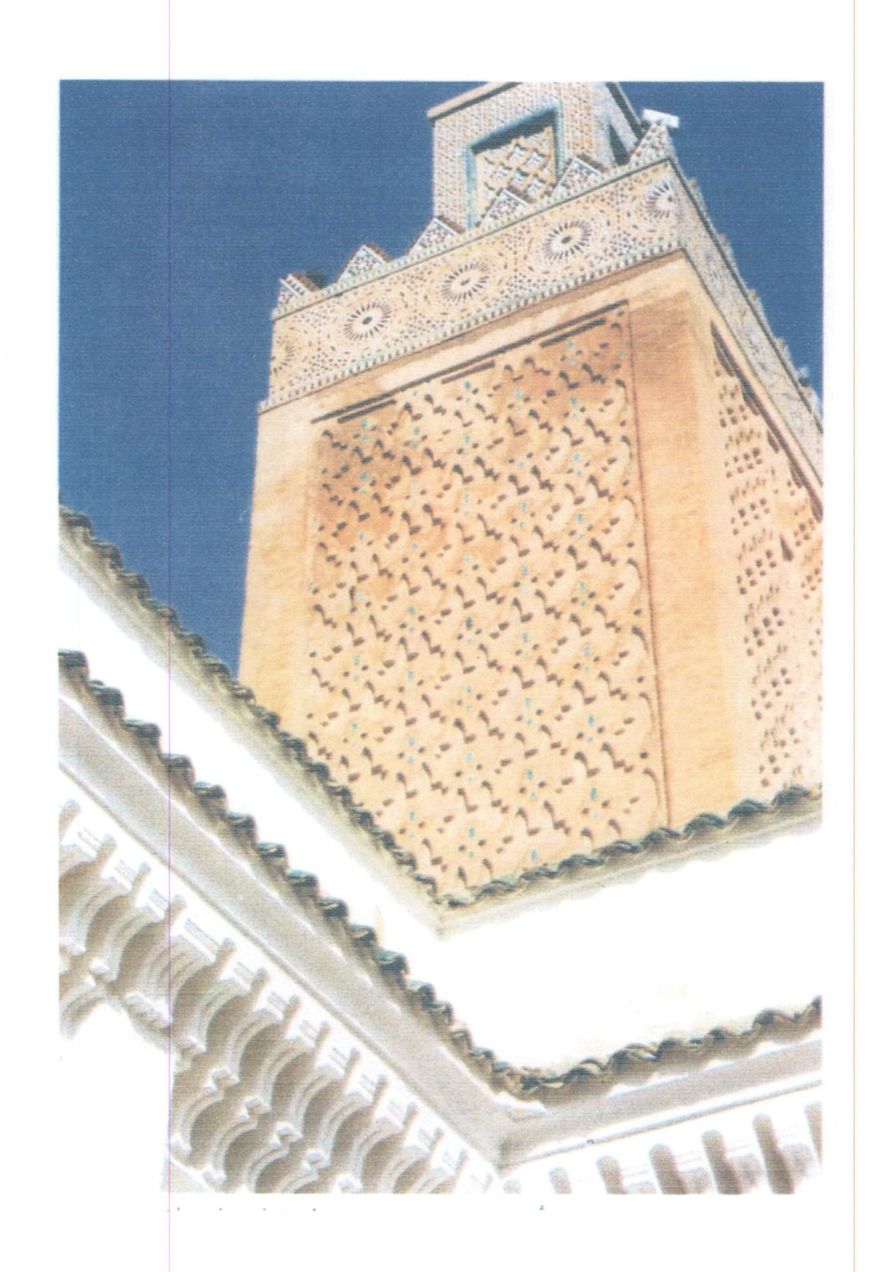
شكل رقم9:يوضح الشكل نصوص تأسيسية على يسار المحراب.



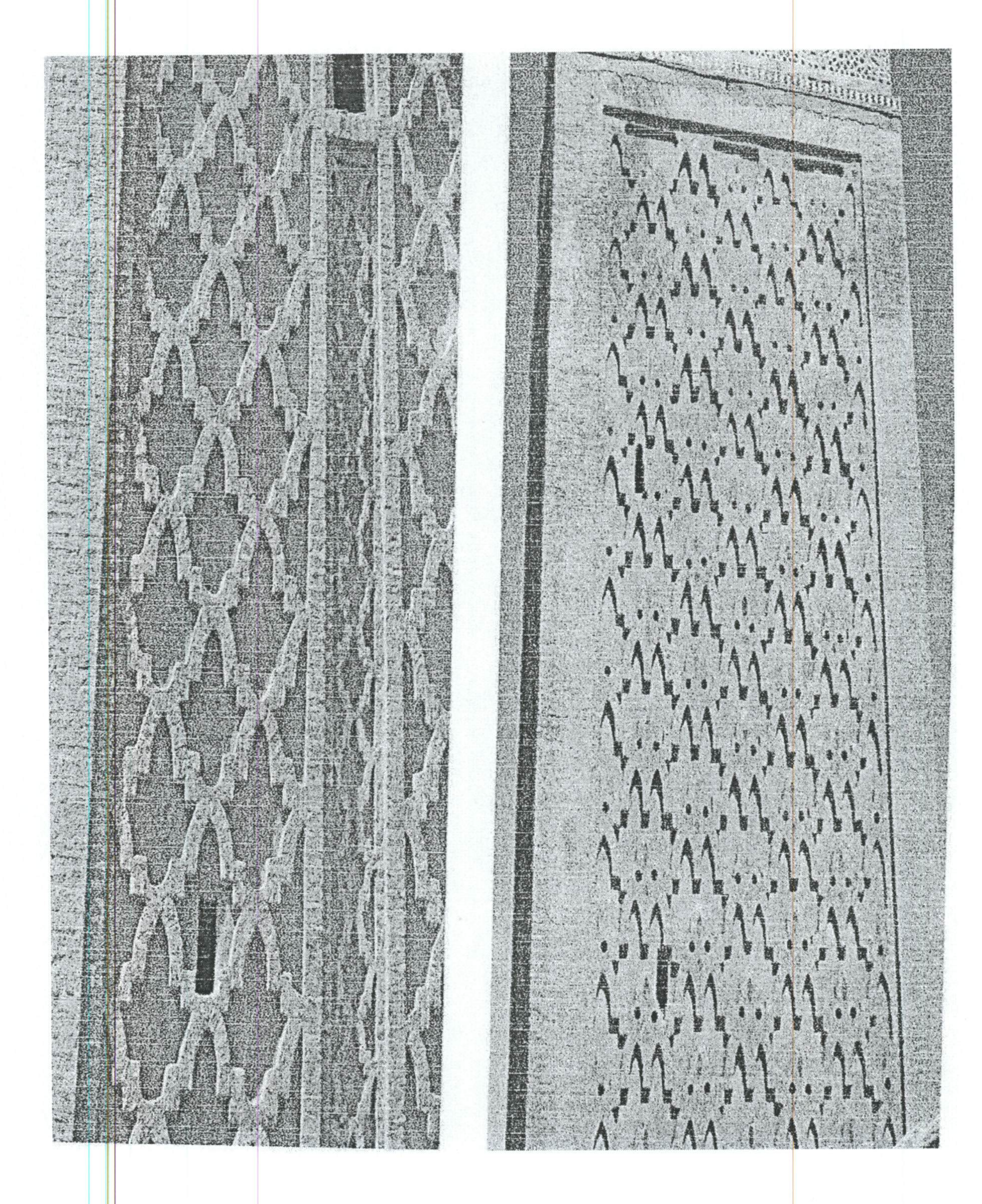
شكل رقم10: العبارات الدعائية التي تزين أحد واجهات المسجد.



الشكل 11: الزخارف النجمية و الأطباق الزخرفية التي تزين الباب الرئيسي للمسجد.



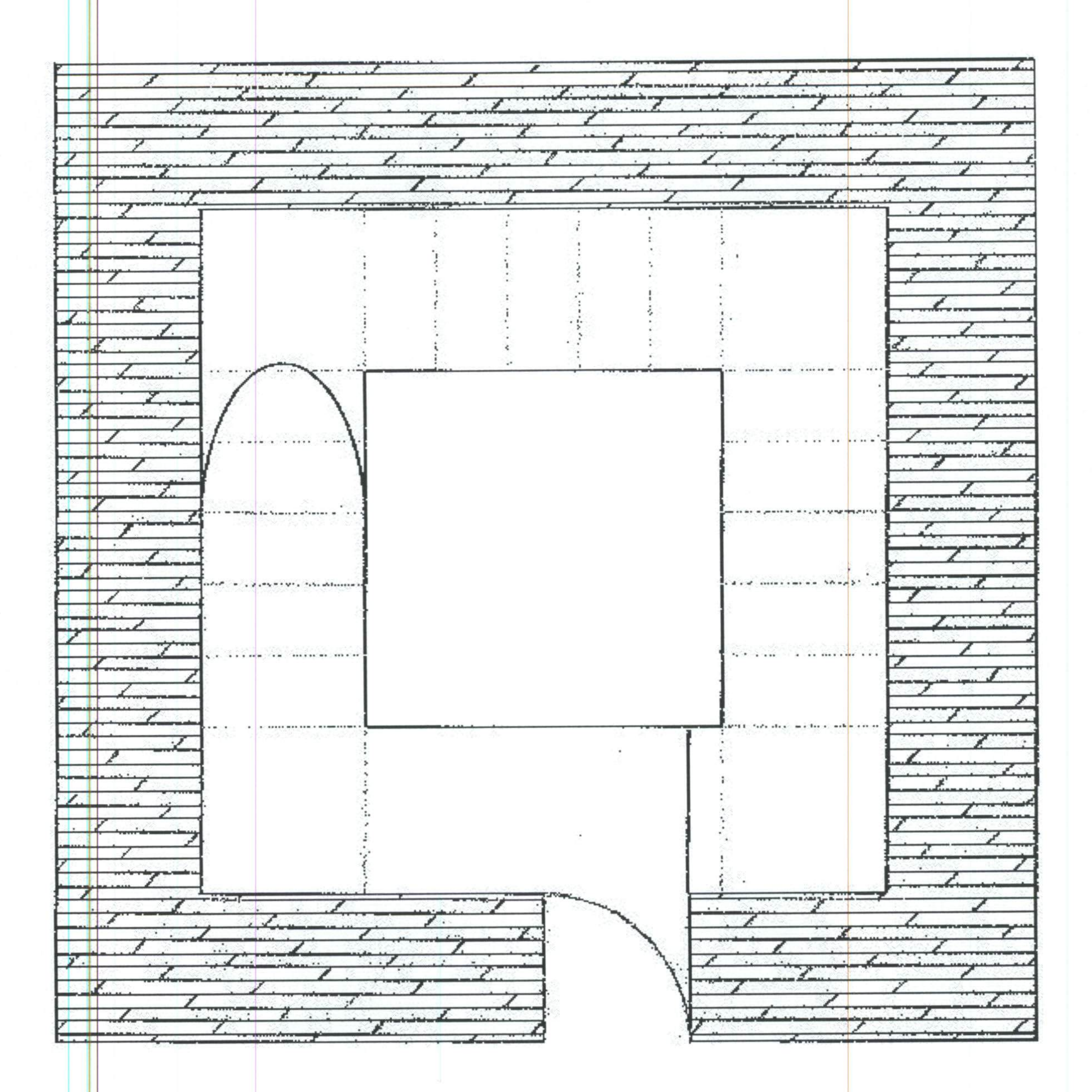
الشكل رقم 12:مئذنة سيدي أبي مدين (الصورة ملتقطة من الصحن)



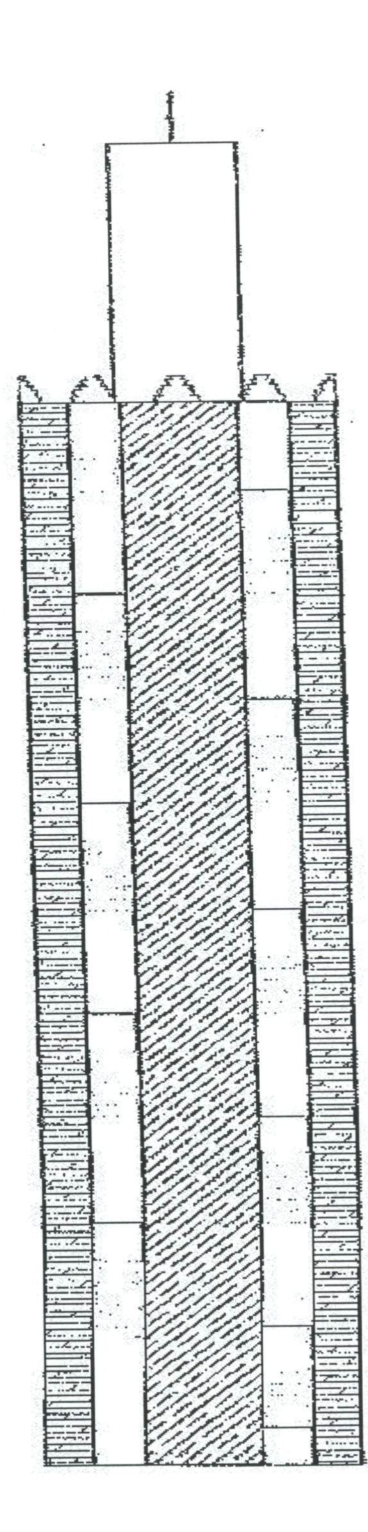
الشكل رقم13:صورة تبين أحد الواجهات الجنوبية للمئذنة

الشكل رقم14: صورة تبين أحد الواجهات الشرقية للمئذنة.

.



الشكل 15:رسم تخطيطي يوضح مقطع عرضي للمئذنة



الشكل 16:رسم تخطيطي لمقطع طولي للمئذنة

قائمة المصادر والمراجع

المصادر :

القرآن، رواية حفص عن نافع.

1- إبن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.

2- أبي عبيد الله محمد بن محمد، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان، الجزائر 1908.

***-المراجع :**

1. وليم و جورج مارسي، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، تر : مجموعة من المترجمين، الطبعة الأولى، الأصالة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2011.
2. سعد بوفلاقة أوراق تلمسانية 2011.
3. فوزي مصمودي، تلمسان بعيون عربية 2011.
4. محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب و الأندلس 2011.
5. عبد العزيز لعرج، جمالية الفن الإسلامي في المنشآت المرينية بتلمسان.
6. السيد عبد العزيز سالم، حول أمثلة من الابتكارات في المسجد الجامع بقرطبة.
7. مبارك بوطارن، العمائر الدينية في المغرب الأوسط، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر.
8. يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري 2011.
9. موساوي عبد المالك، فن الزخرفة في العمارة الإسلامية (المساجد و المدارس) الطبعة الأولى، دار السبيل للنشر و التوزيع، الجزائر 2011.

10. حاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بنو زيان 1995.

11. محمد عمرو الطمار، تلمسان، عبر العصور دورها في سياسة و حضارة الجزائر.

12. عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته و آثاره 1982.

13. عبد العزيز فراح، تلمسان المدينة المحراب.

14. رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية2011 .

الرسائل الجامعية باللغة العربية :

1. شهادة الماجيستر شعبة الفنون الشعبية، تلمسان 2002-2003.

2. طرشاوي بالحاج، المآذن الزيانية و المرينية في تلمسان دراسة تاريخية و فنية، مذكرة

3. مهتاوي فايزة أضرحة الأولياء بمدينة تلمسان (مذكرة الماجيستر).

4. صادق خشاب تأثير الفن الزخرفي على نظيره المغاربي (مذكرة الماجيستر)2000

5. إيشو عبد الحق، مئذنة العباد العلوي دراسة آثرية (شهادة الليسانس) في علم الآثار تخصص آثار إسلامية 2013.

فهرس الأشكال:

الشكل رقم 1:ضريح سيدي أبي مدين مدخله و جزء من صحنه.............. 51

الشكل رقم 2: مخطط يوضح مسجد سيدي أبي مدين...........................52

الشكل رقم 3: قبيبة المحراب المقرنصة 53

الشكل رقم 4: مدخل المسجد المتكون من إحدى عشر درجة..................54

الشكل رقم 5: الزخارف الموجودة في أحد أبواب المسجد.......................55

الشكل رقم 6: تاج عمود المحراب (الأيسر) لجامع سيدي أبي مدين...........56

الشكل رقم 7: زخرفة القبة 57

الشكل رقم 8:أحد الزخارف ذات الفروع النباتية و التي تشكل حلقات دائرية.58

الشكل رقم 9: نصوص تأسيسية على يسار المحراب 59

الشكل رقم 10:العبارات الدعائية التي تزين أحد واجهات المسجد..............60

الشكل رقم 11: الزخارف النجمية و الأطباق الزخرفية التي تزين باب المسجد...61

الشكل رقم12: مئذنة مسجد سيدي أبي مدين 62

الشكل رقم13: أحد الواجهات الجنوبية للمسجد..63

الشكل رقم 14: أحد الواجهات الشرقية للمسجد..63

الشكل رقم 15:رسم تخطيطي يوضح مقطع عرضي للمئذنة..................................64

الشكل رقم 16: رسم تخطيطي لمقطع طولي للمئذنة 65

الشكل رقم17: تقنية البناء بالحجر و الآجر 66

الفهرس

الفهرس

مقدمة ....أ
الفصل الأول 4
نبذة عامة عن أهم المراحل التاريخية لتلمسان 4
المبحث الاول :تلمسان جغرافيا و تاريخيا : 4
المبحث الثاني: الفنون الزخرفية بتلمسان 6
الفصل الثاني 1
مسجد سيدي أبي مدين بتلمسان.......................... 1
المبحث الاول : تاريخ انشاء المسجد 20
المبحث الثاني : النظام التخطيطي للمسجد و الواجهة الخارجية له..........21
الفصل الثالث 26
مكونات الزخرفة في المسجد 26
المبحث الأول: العناصر المعمارية 26
المبحث الثاني: العناصر الزخرفية 29
الفصل الرابع : 38
مئذنة مسجد سيدي أبي مدين 38
المبحث الاول :الوصف المعماري:..........................40
الخاتمة 48
ملحق الأشكال 66

التلخيص:

لقد أضفت الزخرفة الفنية بتنوع أشكالها و ألوانها , على مسجد سيدي أبي مدين نوعا من الجمالية , ما جعله ذات قيمة تاريخية فهو يعتبر من المساجد العتيقة ذات التاريخ الماجد والذكريات الحضارية و الهدف من هذا البحث ليس الجانب الفني فقط بل التعريف بالدور الرائد للمسجد و ذالك من خلال ترسيخ الهوية الحضارية الإسلامية في تاريخ الجزائر بصفة عامة و أجيالها الصاعدة من خلال تنوير للعقول و غرس للأخلاق الفاضلة في نفوس الأجيال الناشئة ,و كذالك ترسيخ للدين الإسلامي و مبادئه فإلى هذا المسجد يعود الفضل كل الفضل في حماية عروبة المسلمين.

Résumé :

LA DECORATION ARTISTIQUE AVEC TOUTE SA DIVERSITE DES FORMES ET DES COULEURS A AJOUTE UNE SORTE D ESTITIQUE A MOSQUEE DE SIDI ABOU MADIAN. CE QUI FAIT DE LA VALEUR HISTORIQUE .ELLE EST CONSEDEREE COMME UNE MOSQUEE ANCIENNE QUI A UNE HISTOIRE GLORIEUSE ET DES SOUVENIRS DE LA CIVILISATION ET L OBJECTIF DE CETTE RECHERCHE EST NON SEULEMENT LE COTE TECHNIQUE MAIS AUSSI C EST LA DEFINITION DU ROLE LAIDEUR DE LA MOSQUEE A TRAVERS LA CONSOLIDATION DE L IDENTITE CULTURELLE ISLAMIQUE DANS L HISTOIRE DE L ALGERIE EN GENERALE ET LES GENERATIONS EMERGENTES EN PARTICULIER A TRAVERS L ILLUMINATION DE L ESPRIT ET D INCULQUER LES BONNES MŒURS DANS LES CŒURS DES JEUNES GENERATIONS ET AINSI LA CONSOLIDATION DE LA RELIGION ISLAMIQUE ET SES PRINCIPES ET ELLE A UN ROLE IMPORTANT DANS LA PROTECTION DE LIDENTITE ARABE DES MUSULMANS .